تدبر القرآن
وصناعة الشخصية المسلمة
سياسيًا

إعداد

م. بدر الدين بن الشيخ حمدي مدوخ

رئيس جمعية الشيخ حمدي مدوخ للعلوم الشرعية والتنمية البشرية غزة

المقدمة

الحمد لله الذي جعل القرآن هادياً للتي هي أقوم، والصلاة والسلام على المتدبر الأول لكتاب ربه – محمد صلى الله عليه وسلم- وعلى آله وصحبه أجمعين، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين، أما بعد...

منذ الإعلان – المشئوم – عن إلغاء الخلافة الإسلامية عام ١٩٢٤، ومعظم المسلمين يعيشون انفصاماً نكداً بين الدين والحياة، لدرجة أن الكثير ممن تصدروا مفاصل الحياة من أنصاف المثقفين كانوا لا يعرفون الإسلام إلا في حدود المسجد والزواج والطلاق ليس إلا، بل إن العديد منهم قاموا بمحاربة الدين نفسه، فنشروا بين الأجيال صورة مجتزأة عن الإسلام، حيث جعلوه ديناً بلا فكر ولا سياسة ولا اقتصاد ولا إدارة، ولا...!

في المقابل عملت الحركة الإسلامية الكثير لتوضيح الصورة الصحيحة الشاملة للإسلام، وبدأ الآخرون يفقدون العديد من مواقعهم بين الناس، ولم يبق لهم سوى قلاع الحكومات والأنظمة، فقاتلوا تحت لوائها قتالاً شرساً على جميع الأصعدة: الأخلاقية والتعليمية والثقافية والاقتصادية والسياسية وغيرها، حتى أذن الله بالفرج وأثمرت جهود المصلحين ودماء المضحِّين وجراحات المعذبين وآهات المحرومين، فانتفضت الشعوب عليهم لأنهم أفلسوا في كل الميادين، وسلم الناس دفة إدارة حياتهم ولأصحاب نهج القرآن الكريم ليديروا دفتها، وخصوصاً السياسية منها.

فتقدّم الإسلاميون وتحملوا مسؤولياتهم بشجاعة، ومارسوا الحكم والسياسة وإدارة شؤون الناس، فانتقلوا من مرحلة إدارة التنظيم والجماعة لمرحلة إدارة الدولة، ومن مرحلة سرية العمل والدعوة لمرحلة الجهر بها، ومن مرحلة الاستضعاف إلى مرحلة ما قبل التمكين..مما فرض عليهم التعامل مع كل هذا في وقت واحد ومحدود، لأن هذا الانتقال - وإن كان له جذوره - إلا أن سرعة حدوثه جعلت هؤلاء المخلصين في انشغال دائم وعمل أكثر ضراوة وتصد لأعداء جدد أكثر شراسة.

ولذلك لا يمكن لهم الخروج بأمان من هذه المرحلة إلا بالاستمرار من النهل من النبع الصافي وهو القرآن الكريم والسنة النبوية الصحيحة، وذلك بالاستمرار بصناعة الشخصية المسلمة المتكاملة في شتى مجالات الحياة، والتي هي مناط ومحور التغيير المنتظر إن شاء الله.

وإسهاماً بإنجاح هذه الصناعة كان هذا البحث ليساهم في صناعة الشخصية المسلمة سياسياً، من خلا تدبر آيات ربنا سبحانه وتعالى، سائلين الله لنا القبول وحسن الخاتمة.

أهمية الموضوع

تتمثل أهمية الموضوع في عدة نقاط :

١- أن أصحاب المنهج الإسلامي أصبحوا يتصدرون المشهد السياسي بشكل واضح منذ بداية ما يُعرف (بالربيع العربي).

٢- أن القرآن الكريم يجب أن يكون المرجع الأول لكل مسلم وخصوصاً السياسي، لأنه أكثر الأصناف تعاطياً مع مجمل القضايا، لا قضايا محددة بذاتها.

٣- أن معظم الأحكام والفوائد المتعلقة بالأمور السياسية الموجودة في القرآن تحتاج لتفكر وتدبر وتأمل لاستخراجها والاستفادة منها.

٤- أن زحمة العمل السياسي وكثافته تجعل مُمَارِسَه قليل الوقت للرجوع لمصادره الصحيحة قبل اتخاذ القرار المناسب الصائب.

٥- أن معظم القضايا السياسية تدخل في دائرة الاجتهاد وهي تدخل تحت ما يعرف بالمصالح المرسلة، مما تفرض على السياسي المسلم أن يملك صفات خاصة تؤهله للتعامل مع الواقع.

٦- أن من يكون في بؤرة الحدث السياسي لا بد أن يكون تحت دائرة الضوء وخصوصاً الإعلام، مما يوجب عليه الحيطة والحذر.

٧- أن العوام من الناس لا تفرق بين الإسلام وبين من يجتهد في تطبيقه، ولذلك تقليل الأخطاء السياسية مهمة جداً في إقناع الناس بحمايتهم وتبنيهم للمنهج الإسلامي.

- **سبب اختيار الموضوع**

١- النقاط الواردة في أهمية الموضوع سبب رئيس في اختياره

٢- المساهمة في إنجاح المشروع الإسلامي كبداية لإرجاع مجد الأمة الإسلامية.

٣- المساعدة في صياغة العقلية السياسية للمسلم وصناعة مهاراته السياسية وفق المنهج القرآني.

٤- العمل على جعل التدبر في القرآن الكريم نهجاً بين المسلمين وخصوصاً العاملين منهم في الحقل الإسلامي.

- **خطة البحث :**

اشتملت خطة البحث على المقدمة السابقة، وأربعة مباحث وخاتمة بأهم النتائج والتوصيات.

المبحث الأول : تدبر القرآن الكريم

- **المطلب الأول : المقصود بالتدبر**
- **المطلب الثاني : شروط مهمة لتدبر القرآن**
- **المطلب الثالث : حِكَمَة تدبر القرآن**

المبحث الثاني : الأهمية السياسية لتدبر القرآن

- المطلب الأول : شمولية القرآن
- المطلب الثاني : السياسة والدولة في القرآن

المبحث الثالث : أثر تدبر القرآن الكريم في بناء الشخصية المسلمة سياسياً

- المطلب الأول : القرآن والإنسان
- المطلب الثاني : القرآن وقواعد البناء السياسي للإنسان المسلم

المبحث الرابع : تدبر القرآن يوضح أسس الحكم الرشيد

- المطلب الأول : مفهوم الحكم الرشيد
- المطلب الثاني : تدبر القرآن ومعالم الحكم الرشيد

الخاتمة متضمنة النتائج والتوصيات

المصادر والمراجع

المبحث الأول : تدبر القرآن الكريم

مفهومه .. شروطه .. حِكمَتُه

المطلب الأول : المقصود بالتدبر

مفهوم التدبر لغة:

أصل كلمة التدبر (الدُبُر) وهي خلاف (القُبُل) من كل شيء، ومنه يُقال لآخر الأمر دبر وأصله ما أدبر عنه الإنسان...ودبرت الأمر تدبيرا فعلته عن فكر وروية، وتدبرته تدبراً نظرت في دبره وهو عاقبته وآخره[١]

من التعريف اللُغوي نستنتج أن التدبر متضمن لمعنى التفكر والتروي والنظر في مآلات الأمور وعواقبها.

يقول الإمام الرازي : التدبير والتدبر عبارة عن النظر في عواقب الأمور وأدبارها، ومنه قوله: إلام تدبروا أعجاز أمور قد ولت صدورها، ويقال في فصيح الكلام: لو استقبلت من أمري ما استدبرت، أي لو عرفت في صدر أمري ما عرفت من عاقبته[٢]

المفهوم القرآني للتدبر :

ويرى معظم المفسرين بأن التدبر هو (تأمل القرآن بقصد الاتعاظ والاعتبار والاستبصار[٣])

و جاءت كلمة (التدبر) في القرآن في المواضع التالية :

قال تعالى : ﴿ **أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَۚ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُواْ فِيهِ ٱخْتِلَٰفًا كَثِيرًا ﴿٨٢﴾** ﴾ النساء: ٨٢

إنه من الضروري لفهم المقصود الصحيح للتدبر أن نعود للآيات التي سبقت هذه الآية، روى أبو عبيد بن سلاّم بسنده، عن عبد الله بن مسلم بن يسار عن أبيه قال (إذا حُدِّثتَ عن الله حديثاً فقف حتى تنظر ما قبله وما بعده[٤]).

لقد جاءت هذه الآية زاجرةً للمنافقين بعد فضحهم، لتثبت أنهم لم يُعمِلوا عقولهم وأفكارهم، فبرغم إخبار الوحي عن أفعالهم إلا أنهم لم يتعظوا (والحق سبحانه وتعالى حينما يحث المستمعين للاستماع إلى كلامه وخاصة المخالفين لمنهجه أن يتدبروا القرآن، معناه أنه يحب منهم أن يُعملوا عقولهم فيما يسمعون؛ لأن الحق يعلم أنهم لو أعملوا عقولهم فيما يسمعون لانتهوا إلى قضية الحق بدون جدال، ولكن الذي يجعلهم في مواقف يعلنون الطاعة﴿ **فَإِذَا بَرَزُواْ مِنْ عِندِكَ بَيَّتَ طَآئِفَةٌ مِّنْهُمْ غَيْرَ ٱلَّذِى تَقُولُۖ** ﴾ النساء: ٨١ ، إن هذا دليل على أنهم لم

---

١ – المصباح المنير : أحمد بن محمد بن علي الفيومي المقرئ

٢ – مفاتيح الغيب / التفسير الكبير للإمام فخر الدين الرازي

٣ – تدبر القرآن الكريم / د. فهد بن مبارك بن عبدالله الوهبي، مجلة الدراسات القرآنية العدد (٨) ١٤٣٢ هـ

٤ – الإسلام وفقه عصر الراشدين / د. عبد الحميد غانم، ص٦

يتدبروا القرآن، وقوله الحق: { أَفَلاَ يَتَدَبَّرُونَ } تأتي بعد تلك الآية، كأنها جاءت ودليلها يسبقها، فهم لو تدبروا القرآن لعلموا أن الرسول صادق في البلاغ عن الله وأن هذا كلام حق[1])

وقال أيضاً : ﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَآ ﴿٢٤﴾ ﴾ محمد: ٢٤ وهنا تشير الآيات **لضرورة سلامة القلب** للاستفادة من القرآن، لأن الله ذم – في الآيات التي سبقتها والتي بعدها- المنافقين، وسياق الآيات جميعها تشير للعديد من أمراض قلوب المؤمنين : فقال سبحانه قبلها : ﴿ وَيَقُولُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَوْلَا نُزِّلَتْ سُورَةٌ فَإِذَآ أُنزِلَتْ سُورَةٌ مُّحْكَمَةٌ وَذُكِرَ فِيهَا ٱلْقِتَالُ رَأَيْتَ ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ يَنظُرُونَ إِلَيْكَ نَظَرَ ٱلْمَغْشِىِّ عَلَيْهِ مِنَ ٱلْمَوْتِ فَأَوْلَىٰ لَهُمْ ﴿٢٠﴾ ﴾ محمد: ٢٠ ، وقال بعدها ﴿ أَمْ حَسِبَ ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ أَن لَّن يُخْرِجَ ٱللَّهُ أَضْغَٰنَهُمْ ﴿٢٩﴾ ﴾ محمد: ٢٩

وقال سبحانه :﴿ أَفَلَمْ يَدَّبَّرُوا۟ ٱلْقَوْلَ أَمْ جَآءَهُم مَّا لَمْ يَأْتِ ءَابَآءَهُمُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٦٨﴾ ﴾ المؤمنون: ٦٨ ، وهذه الآية تدل على أن تدبر القرآن **لا يكون مع قلب متكبر**، فالكبر يحجب عن صاحبه نفائس الفهم وعظائم العمل، وهذا ما نفهمه من قوله تعالى ﴿ أَمْ جَآءَهُم مَّا لَمْ يَأْتِ ءَابَآءَهُمُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٦٨﴾ ﴾ ، وهذا ما وضحته الآيات قبلها : ﴿ قَدْ كَانَتْ ءَايَٰتِى تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ فَكُنتُمْ عَلَىٰٓ أَعْقَٰبِكُمْ تَنكِصُونَ ﴿٦٦﴾ مُسْتَكْبِرِينَ بِهِۦ سَٰمِرًا تَهْجُرُونَ ﴿٦٧﴾ ﴾ المؤمنون: ٦٦ - ٦٧ ووضحته الآيات بعدها أيضاً : ﴿ وَلَقَدْ أَخَذْنَٰهُم بِٱلْعَذَابِ فَمَا ٱسْتَكَانُوا۟ لِرَبِّهِمْ وَمَا يَتَضَرَّعُونَ ﴿٧٦﴾ ﴾ المؤمنون: ٧٦

وقال كذلك :﴿ كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ مُبَٰرَكٌ لِّيَدَّبَّرُوٓا۟ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٢٩﴾ ﴾ ص: ٢٩ وهي إشارة واضحة أن تدبر القرآن يحتاج **لعقل راجح وازن يميز بين الأمور ويكون وقافاً عند الحق**، ولذلك سبقتها آيات تمدح سيدنا داوود أنه وقّاف عند الحق لرجاحة عقله ﴿ وَظَنَّ دَاوُۥدُ أَنَّمَا فَتَنَّٰهُ فَٱسْتَغْفَرَ رَبَّهُۥ وَخَرَّ رَاكِعًا وَأَنَابَ ۩ ﴿٢٤﴾ ﴾ ص: ٢٤ ثم ضرب مثلاً بصيغة استفهام استنكاري ﴿ أَمْ نَجْعَلُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ كَٱلْمُفْسِدِينَ فِى ٱلْأَرْضِ أَمْ نَجْعَلُ ٱلْمُتَّقِينَ كَٱلْفُجَّارِ ﴿٢٨﴾ ﴾ ص: ٢٨ ، ثم عقب الله بعد آية التدبر بمثل لرجاحة العقل وما يميزها من الرجوع والإنابة عند الخطأ والصدق عند الاختبار والابتلاء :﴿ وَلَقَدْ فَتَنَّا سُلَيْمَٰنَ وَأَلْقَيْنَا عَلَىٰ كُرْسِيِّهِۦ جَسَدًا ثُمَّ أَنَابَ ﴿٣٤﴾ ﴾ ص: ٣٤

ويرى الشيخ الدكتور ناصر العمر أن المقصود بتدبر القرآن الكريم التأمل والتفكر والنظر في مآلات الآيات ودلالاتها وآثارها، بحيث يتحقق التوافق بين اللسان والقلب والعقل مما يؤدي إلى تحقيق الغايات التي أنزل القرآن لأجلها[2].

المطلب الثاني : شروط مهمة لتدبر القرآن

---

١ – خواطر محمد متولي الشعراوي

٢ – الدكتور ناصر العمر / برنامج الشريعة والحياة – قناة الجزيرة بتاريخ ٢٠١٣/٠٢/١٧

بالنظر والتدبر في الآيات السابقة نجد أن كل آية جاءت بمانع يمنع المسلم من التدبر ويحرمه لذة التأمل في كتاب الله، وعليه فلا يمكن أن يؤتي التدبر أكله دون التغلب على هذه الموانع، وهي :
عدم الإيمان بوحدة وانسجام القرآن، وإغلاق القلوب وعدم تزكيتها، والكبر، والعناد والإصرار على الخطأ
وللتغلب على هذه الموانع، لا بد للمسلم من :

١) اليقين التام بتناسق وتكامل آيات القرآن، وأنها تفسر بعضها البعض، واليقين التام بأن القرآن يهدي للتي هي أقوم : ﴿ إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ ﴾ الإسراء: ٩ ، وأنه يشتمل على كل ما يفيد الإنسان وما يبحث عنه ﴿ مَّا فَرَّطْنَا فِى ٱلْكِتَٰبِ مِن شَىْءٍ ۚ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ ﴿٣٨﴾ ﴾ الأنعام: ٣٨ وأنه قيِّمٌ لا عِوج فيه ﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَىٰ عَبْدِهِ ٱلْكِتَٰبَ وَلَمْ يَجْعَل لَّهُۥ عِوَجَا ۜ ﴿١﴾ قَيِّمًا ﴾ الكهف: ١ - ٢

٢) سلامة القلب ﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ ﴾ الأنفال: ٢ ، وهذا لا يتم إلا بالتقرب إلا الله سبحانه والتخلص من أمراض هذه القلوب ﴿ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِمَن كَانَ لَهُۥ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى ٱلسَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ ﴿٣٧﴾ ﴾ ق: ٣٧.

٣) التواضع لله سبحانه، واستحقار النفس أمام عظمة الله سبحانه، واستحقار أي عمل أو إنجاز أمام علم وعطاء وفضل الله سبحانه ﴿ وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ وَنَهَى ٱلنَّفْسَ عَنِ ٱلْهَوَىٰ ﴿٤٠﴾ فَإِنَّ ٱلْجَنَّةَ هِىَ ٱلْمَأْوَىٰ ﴿٤١﴾ ﴾ النازعات: ٤٠ - ٤١ .

٤) الرجوع للحق والصواب والعمل به متى تبين ذلك، بغض النظر عن الجهة الموجهة والمصوِبة : ﴿ وَأُزْلِفَتِ ٱلْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ غَيْرَ بَعِيدٍ ﴿٣١﴾ هَٰذَا مَا تُوعَدُونَ لِكُلِّ أَوَّابٍ حَفِيظٍ ﴿٣٢﴾ ﴾ ق: ٣١ - ٣٢

المطلب الثالث : حِكمَة تدبر القرآن

مما لا شك فيه أن درجة فهم القرآن معيارٌ لصحة سلوك الإنسان المسلم مع ربه ابتداء ثم مع باقي المخلوقات، إلا أن فهم القرآن يتطلب النظر والتدبر فيه، ولذلك عدّ الإمام ابن القيم أن عدم تدبر القرآن والتفكر في آياته وتأمله أحد الدروب الخمسة لهجر القرآن الكريم[1].
ولقد اشتكى رسول الله من قومه بأنهم هجروا القرآن ﴿ وَقَالَ ٱلرَّسُولُ يَٰرَبِّ إِنَّ قَوْمِى ٱتَّخَذُوا۟ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ مَهْجُورًا ﴿٣٠﴾ ﴾ الفرقان: ٣٠ ، فكان المشركون إذا تلي عليهم القرآن، أكثروا اللغط والكلام في غيره، حتى لا يسمعوه،

---

١ – الدكتور ناصر العمر / برنامج الشريعة والحياة – قناة الجزيرة بتاريخ ٢٠١٣/٠٢/١٧

فهذا من هجرانه وترك الإيمان به، وترك تصديقه من هجرانه، وترك تدبره وتفهمه من هجرانه، وترك العمل به وامتثال أوامره واجتناب زواجره من هجرانه، والعدول عنه إلى غيره من شعر أو قول أو غناء أو لهو أو كلام أو طريقة مأخوذة من غيره[١]

وبالرجوع للآيات التي تحدثت عن تدبر القرآن مباشرة، نجد أن ثلاثة منها جاءت بصيغة الاستفهام الاستنكاري والرابعة جاءت لتحدد هدف نزول الكتاب وهو التدبر.

فالذي لا يتدبر القرآن يشارك المنافقين والكافرين في هذا الفعل[٢]، وكذلك لا يوافق مراد الله من تنزيله للقرآن، ولعل هذا من أهم الأسباب التي جعلت الكثير من المسلمين بعيدين جداً في سلوكياتهم عن سلوكيات القرآن، بل عاجزين عن إيجاد حلول لكثير من المسائل الطارئة والحديثة بخلاف ما كان عليه السلف الصالح.

ولقد اشتهر بين الناس اجتهاد سيدنا عمر بن الخطاب في عدة قضايا ومخالفته ظاهراً لبعض أفعال رسول الله، لكن في حقيقتها كانت مطابقة لنهج رسول الله إذا أحسن الإنسان المؤمن تدبر الآيات القرآنية والأحاديث الصحيحة المعالجة لهذه القضايا، ولعل أشهر القضايا في ذلك:

عدم إعطاء المؤلفة قلوبهم من أموال الزكاة، ورفضه تقسيم الأرض المفتوحة على المقاتلين وإيقاف حد السرقة يوم المجاعة، وإنكار زواج المسلم بكتابية، والزيادة في عقوبة شارب الخمر[٣])

ومما علق به الشيخ القرضاوي على هذه الاجتهادات، أنه قال :" إن عمر لم يكن يتخذ رأيه في سرعة وعجلة، بل كان يفكر في الرأي ويديره في نفسه، وقد يصبر عليه طويلاً حتى يصهره وينضجه...وأنه لم يكن يتخذها منفردا، كالمستبدين من الملوك والسلاطين، بل كان عادته الاستشارة فيما ينويه من أمور، كما صح عنه ذلك في وقائع كثيرة) [٤]

ولقد لخص الشهيد سيد قطب – رحمه الله – حِكَم تدبر القرآن، فقال : (تدبر القرآن يزيل الغشاوة، ويفتح النوافذ، ويسكب النور، ويحرك المشاعر، ويستجيش القلوب ، ويخلص الضمير، وينشئ حياة للروح تنبض بها وتشرق وتستنير)[٥]

---

١ – تفسير القرآن العظيم / للإمام بن كثير ج٣/ص ٤٢٣

٢ – الرجاء النظر في العنوان السابق

٣ – انظر السياسة لشرعية / القرضاوي/ ص ١٦٩–٢٢٣

٤ – المرجع السابق / ص ٢٢١–٢٢٢

٥ – في ظلال القرآن سيد قطب (٣٢٩٧/٦) طبعة دار الشروق .

المبحث الثاني : الأهمية السياسية لتدبر القرآن

المطلب الأول : شمولية القرآن

١- هذا القرآن

لقد أنعم الله علينا أن جعل القرآن لنا هُدىً ودليلاً لكل شيء على الإطلاق، وبين ذلك في العديد من الآيات، فقال سبحانه وتعالى : ﴿ ذَٰلِكَ ٱلْكِتَٰبُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ﴾ البقرة: ٢) ، أي أنزله سبحانه وتعالى (كتاباً فيه هداية للناس وفيه دلالة على أقصر الطرق لكي نتقي عذاب الله وغضبه) [١] وهو (هدىً للجميع، فالذي يريد أن يتقي عذاب الله وغضبه يجد فيه الطريق الذي يحدد له هذه الغاية.. فالهدى من الحق تبارك وتعالى للناس جميعاً. ثم خَصَّ مَنْ آمن به بهديٍ آخر، وهو أن يعينه على الطاعة...) ومما يستوجب الوقوف عنده هو المقصود بالمتقين؟ فكلمة (متقين جمع مُتَّقٍ. والاتقاء من الوقاية.. والوقاية هي الاحتراس والبعد عن الشر) [٢]، فمن سار على هدى القرآن احترس وبعد عن الضلالة.

ومن فضله سبحانه – كذلك – أنه ما ترك لنا شيئاً إلا وكتبه فيه، فقال سبحانه : ﴿ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ تِبْيَٰنًا لِّكُلِّ شَىْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ ﴾ النحل: ٨٩ كما أن الله وضح وبيّن أن لا قوامة لأي أمر إلا باتباع هدي القرآن الكريم :﴿ إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا ﴾ الإسراء: ٩ ، (وهكذا نجد المنهج الإلهي يرسم لنا الطريق الأقوم الذي يضمن لنا سلامة الحياة واستقامتها، فلو تدبرْتَ هذا المنهج لوجدته في أيِّ جانب من جوانب الحياة هو الأقوم والأنسب في العقائد، في العبادات، في الأخلاق الاجتماعية العامة، في العادات والمعاملات، إنه منهج ينتظم الحياة كلها، كما قال الحق سبحانه:﴿ مَّا فَرَّطْنَا فِى ٱلْكِتَٰبِ مِن شَىْءٍ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ ﴾ الأنعام: ٣٨ هذا المنهج الإلهي هو أَقْوم المناهج وأصلحها؛ لأنه منهج الخالق سبحانه الذي يعلم مَنْ خلق، ويعلم مَا يصلحهم) [٣].

وخلاصة القول أن هذا القرآن (يهدى للتي هي أقوم في نظام الحكم، ونظام المال، ونظام الاجتماع، ونظام التعامل) [٤]

وإن من فضل الله علينا وعلى البشر جميعاً أن الله لم يجعل هذا القرآن معوجاً بل جعله قيِّماً، ولذلك استحق سبحانه أن نحمده : ﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَىٰ عَبْدِهِ ٱلْكِتَٰبَ وَلَمْ يَجْعَل لَّهُۥ عِوَجَا ۜ قَيِّمًا ﴾ الكهف: ١ - ٢ فالله (لم

---

١ – خواطر محمد متولي الشعراوي

٢ – خواطر محمد متولي الشعراوي

٣ – خواطر محمد متولي الشعراوي

٤ – الوسيط في تفسير القرآن / سيد طنطاوي – نقل عن صاحب الظلال

يجعل فيه شيئا من العوج أو الاختلاف أو التناقض، لا في لفظه، ولا في معناه، وإنما جعله في أسمى درجات الاستقامة والإحكام) [1] ولقد أشارت هذه الآية أن الله (وصف هذا الكتاب بوصفين مشتملين، على أنه الكامل من جميع الوجوه، وهما نفي العوج عنه، وإثبات أنه قيم مستقيم، فنفي العوج يقتضي أنه ليس في أخباره كذب، ولا في أوامره ونواهيه ظلم ولا عبث، وإثبات الاستقامة، يقتضي أنه لا يخبر ولا يأمر إلا بأجلّ الإخبارات وهي الأخبار، التي تملأ القلوب معرفة وإيمانا وعقلا) [2]

٢- القرآن والنظم الإسلامية

القرآن والسنة النبوية الصحيحة هما المصدران الرئيسان اللذان يستقي منهما المسلم أحكامه في كل شيء، فالإسلام يتكون من نظمٍ عديدة، هي : نظام العقائد، ونظام العبادة، ونظام الأخلاق، ونظام الأسرة، والنظام الاقتصادي، ونظام السياسة والحكم (النظم الإسلامية)، هذه النظم نستقيها بتدبرنا لقوله تعالى :

﴿ إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ ﴾ الإسراء: ٩

وعرف أهل العلم المعنى الاصطلاحي للنظم الإسلامية بتعريفات عديدة متشابهة في اللفظ لكنها متحدة في تحديد مصدر وهدف وخصائص هذه النظم.

ومن هذه التعريفات، نذكر أن النظم الإسلامية (هي شكل من أشكال النظم بشكل عام، من حيث أنها تضبط وتنظم سلوك ومعاملات أفراد المجتمع الذي آمن بها أو خضع وانقاد لأحكامها وقوانينها، ولكنها تختلف عن أي نظم أخرى في مصدرها وهدفها وخصائصها) [3]

ومصدر هذه النظم في الإسلام – كما أشرنا – هو الله سبحانه بما أخبرنا في كتابه أو في سنة نبيه، والهدف من هذه النظم تحقيق مرضاة الله في كل شأن، أما خصائصها فهي منضبطة بضوابط الشرع وهذا له تفصيله ولكن ليس في هذا البحث .

ومن الضروري أن نشير إلى سمة مهمة لهذه النظم، وهي : أنها متناسقة ومتكاملة ومتكاتفة يقوي بعضها بعضا، لأن مصدرها القرآن الذي هو من عند الله فلا تجد فيها اختلافاً، بعكس النظم الأخرى التي هي من صنع البشر، وصدق الله القائل : ﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُوا۟ فِيهِ ٱخْتِلَٰفًا كَثِيرًا ﴿٨٢﴾ ﴾ النساء: ٨٢

والفقه الإسلامي الذي يُبيّن الأحكام لكل نظام من هذه النظم، يستوعب الحياة الإنسانية كلها، فشموليته من شمولية القرآن، وهو — أي — الفقه يشمل[4] : (فقه العبادات) وهو الفقه الذي ينظم علاقة الإنسان

---

١ – الوسيط في تفسير القرآن / سيد طنطاوي

٢ – تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان / عبد الرحمن بن ناصر بن السعدي

٣ – النظم الإسلامية / د. شويدح ود. مقداد ود. السوسي ص٥

٤ – السياسة الشرعية / القرضاوي / ص ١٥ بتصرف

بربه، و(فقه الحلال والحرام) وهو الفقه الذي ينظم علاقة الإنسان بحياته الخاصة، و(فقه الأحوال الشخصية) وهو الفقه الذي ينظم علاقة الفرد بأسرته.

وكذلك (فقه القانون المدني) و(التجاري) وهو الفقه الذي ينظم علاقة الفرد بالمجتمع في معاملاته ومبادلاته.

ويشمل كذلك (الفقه السياسي) أو (السياسة الشرعية)، وهو الفقه الذي ينظم علاقة الفرد بالدولة ويشمل (الفقه الدستوري) و(المالي) و (الإداري) و(الدولي).

وبالرجوع للتدبر في الآية السابقة، نجد أن (هذا القرآن يهدى للتي هي أقوم في عالم الضمير والشعور، بالعقيدة الواضحة التي لا تعقيد فيها ولا غموض، والتي تطلق الروح من أثقال الوهم والخرافة، وتطلق الطاقات البشرية الصالحة للعمل والبناء، وتربط بين نواميس الكون الطبيعية، ونواميس الفطرة البشرية في تناسق واتساق.

ويهدى للتي هي أقوم، في التنسيق بين ظاهر الإنسان وباطنه، وبين مشاعره وسلوكه وبين عقيدته وعمله.

ويهدى للتي هي أقوم في عالم العبادة، بالموازنة بين التكاليف والطاقة، فلا تشق التكاليف على النفس حتى تمل، ولا تسهل حتى تشيع في النفس الرخاوة والاستهتار، ولا تتجاوز القصد والاعتدال وحدود الاحتمال.

ويهدى للتي هي أقوم، في علاقات الناس بعضهم ببعض: أفرادا وأزواجا وحكومات وشعوبا، ودولا وأجناسا.

ويهدى للتي هي أقوم في نظام الحكم، ونظام المال، ونظام الاجتماع، ونظام التعامل) [1].

المطلب الثاني : السياسة والدولة في القرآن

١- السياسة في القرآن

قبل النظر في القرآن لمعرفة ما تضمنه من أمور السياسة، من الجدير بنا التعرف على بعض المصطلحات السياسة، (فالسياسة : تدبير شئون الناس وتولي أمرهم وقيادتهم.

وسياسة الأمر : هي تدبيره وإصلاحه.

والسياسة الشرعية : مصطلح عند عدد من العلماء المسلمين يقصد به السياسة الإسلامية للحياة.

والمسئولية السياسية في الإسلام : تعني مسئولية الحكام المسلمين عن تدبير شئون الدولة المسلمة في الداخل أي سياسة المسلمين في حياتهم، وفي الخارج أي سياسة الدولة مع غيرها من الدول) [2]

١- الوسيط في تفسير القرآن / سيد طنطاوي – ملخص من ظلال القرآن لسيد قطب

٢ - فقه المسئولية / د. علي عبد الحليم محمود – ص ٢١٩

فالسياسة إذاً : **القيام على الشيء بما يصلحه، وهي فن إدارة المجتمعات الإنسانية، وهذا يعني أنها تتعلق بالحكم والإدارة في المجتمع المدني.. القرضاوي مفهوم كلمة السياسة.**

ويرى الإمام ابن عقيل أن السياسة ما كان فعلاً يكون معه الناس أقرب إلى الصلاح[1]
والمهم الإشارة إلى أن المتأمل والمتدبر في القرآن الكريم لا يجد فيه كلمة (السياسة)، لكنه يجد ما يشير إليها، بل إن القرآن كله قائم على إصلاح الأمور جميعها، ولذلك ما من آية فيه إلا وتتحدث عن أحد أو العديد من النظم الستة المكونة للنظم الإسلامية.

فلو تدبرنا – مثلاً – قول الله تعالى : ﴿ **وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا ۚ إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ ٱلْكِبَرَ أَحَدُهُمَآ أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا (٢٣)** ﴾ الإسراء: ٢٣ أنها تشير للنظام العقائدي وهو التوجه فقط بالعبادة له سبحانه، والنظام الأسري والنظام الأخلاقي سوياً وهي تشير لمكانة الوالدين والأخلاق التي تحكم علاقة الأبناء بآبائهم وخصوصاً في الكبر، وهكذا...

لقد اشتمل القرآن الكريم على العديد من المعاني التي تشير إلى السياسة، وأول هذه الإشارات متضمنة في كلمة التوحيد نفسها – لا إله إلا الله –حيث هي رمز للسياسة الوحيدة الصالحة للبشر لأنها مبنية على الانقياد لله وحده فقط .

فكلمة التوحيد تنطلق منها كل محاور القرآن وتعود إليها، وقد وردت[2]ست مرات عديدة في القرآن الكريم بنصها، كقوله سبحانه :﴿ **فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَىٰكُمْ (١٩)** ﴾ محمد: ١٩ ، وحوالي ثلاثين مرة بما يدل عليها أو يشير إليها، كقوله سبحانه بداية آية الكرسي : ﴿ **ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَىُّ ٱلْقَيُّومُ ۚ** ﴾ البقرة: ٢٥٥

فكلمة التوحيد تنفي الآلهة إلا الله أي له وحده حق التشريع وهو من صُلب العمل السياسي، وتنفي الأرباب إلا رب العالمين، أي هو فقط المسؤول عن الخلق فلا حاجة للمخلوقين لغيره وهو وحده له حق الطاعة، وتنفي كل الطواغيت، فلا يعبد إلا هو سبحانه أي لا خضوع إلا له ولا خوف ولا خشية إلا منه، وتنفي كذلك جميع الأنداد فلا ند له مما يوجب الحب فقط لله والتضحية من أجله سبحانه وتعالى.

ولقد أبدع صاحب كتاب تحرير الإنسان وتجريد الطغيان في توضيح الكثير من هذه المعاني من خلال تدبره في كتاب الله، ونسرد هنا بعضاً مما استنتجه بتدبره :

(..من صور التوحيد ومعانيه مما أوجب الله على عباده إفراده بها، وحرم عليهم الإشراك به فيها، كقوله في العبادة ﴿ **وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا (١١٠)** ﴾ الكهف: ١١٠ ، وقوله في الحكم ﴿ **وَلَا يُشْرِكُ فِى حُكْمِهِۦٓ أَحَدًا (٢٦)** ﴾

---

١ – الطرق الحكمية / ابن القيم الجوزية – ص ١٧

٢ – ذكر العلامة الشيخ عبد الرحمن بن قاسم الحنبلي في حاشية الرَّوْض المرْبع شرح زادالمسْتَقْنِع ج١ ص ٢٣حاشية رقم (٢)، ذكر أنها ذكرت ٣٧ مرة

الكهف: ٢٦ ، وقوله في التشريع : ﴿ أَمْ لَهُمْ شُرَكَٰٓؤُاْ شَرَعُواْ لَهُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَنۢ بِهِ ٱللَّهُۚ ﴾ الشورى: ٢١ ، وقوله في الملك : ﴿ وَقُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ شَرِيكٌ فِى ٱلْمُلْكِ ﴾ الإسراء: ١١١ ، وفي الطاعة كقوله : ﴿ وَإِنْ أَطَعْتُمُوهُمْ إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ ﴿١٢١﴾ ﴾ الأنعام: ١٢١.

فكما أوجب توحيده بكل ما سبق، فقد حرم كذلك الإشراك به في كل ما سبق...تحري الإنسان) [1]

فكل آية تدل على قانون أو تشريع أو خُلق أو معاملة أو تأمر بقتال أو مسالمة أو تشير إلى ممارسة الحكم وتوضح أنواعه، أو تأمر بعدل ومعروف وتنهى عن ظلم ومنكر، فهي آية تحدد معلماً من معالم السياسة الصحيحة، لأن القرآن لا يهدي إلا للتي هي أقوم، ولا يساعد الناس إلا للاقتراب من الصلاح والابتعاد عن الظلم والفساد.

فلو تدبرنا الآيات التي اشتملت على لُبّ السياسة لوجدناها مشتملة على كلمات مهمة [2]:

ككلمة (الحُكم)وما يشتق منها: ﴿ وَأَنِ ٱحْكُم بَيْنَهُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَهُمْ وَٱحْذَرْهُمْ أَن يَفْتِنُوكَ عَنۢ بَعْضِ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ ﴾ المائدة: ٤٩

وكلمة (الاستحلاف)وما يشتق منها : ﴿ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ كَمَا ٱسْتَخْلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ ٱلَّذِى ٱرْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًاۚ يَعْبُدُونَنِى لَا يُشْرِكُونَ بِى شَيْـًٔاۚ وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴿٥٥﴾ ﴾ النور: ٥٥.

وكلمة التمكين وما يشتق منها : ﴿ ٱلَّذِينَ إِن مَّكَّنَّٰهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ أَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُاْ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَمَرُواْ بِٱلْمَعْرُوفِ وَنَهَوْاْ عَنِ ٱلْمُنكَرِۗ وَلِلَّهِ عَٰقِبَةُ ٱلْأُمُورِ ﴿٤١﴾ ﴾ الحج: ٤١

وكلمة الملك : ﴿ فَهَزَمُوهُم بِإِذْنِ ٱللَّهِ وَقَتَلَ دَاوُۥدُ جَالُوتَ وَءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ ٱلْمُلْكَ وَٱلْحِكْمَةَ وَعَلَّمَهُۥ مِمَّا يَشَآءُۗ ﴾ البقرة: ٢٥١.

بل إن المتدبر في آيات القرآن يجد أنه يوضح أنواع ممارسة الحكم، كالممارسة الشورية حيث أشار إليهه حين الحديث عن ملكة سبأ : ﴿ قَالَتْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَؤُاْ أَفْتُونِى فِىٓ أَمْرِى مَا كُنتُ قَاطِعَةً أَمْرًا حَتَّىٰ تَشْهَدُونِ ﴿٣٢﴾ ﴾ النمل: ٣٢

وممارسة الحكم المبني على العدل أشار إليه في العديد من الآيات التي تتحدث عن حكم بعض الأنبياء، نذكر منها: ﴿ فَقَدْ ءَاتَيْنَآ ءَالَ إِبْرَٰهِيمَ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَءَاتَيْنَٰهُم مُّلْكًا عَظِيمًا ﴿٥٤﴾ ﴾ النساء: ٥٤ ، وكذلك أشار إليه حين

١ - تحرير الإنسان وتجريد الطغيان / د. حاكم المطيري – نسخة إلكترونية

٢ - مقتبس وبتصرف من مقال للدكتور القرضاوي على موقعه الإلكتروني بعنوان : مفهوم كلمة السياسة في القرآن والسنة – ٢٠١٣/٠٢/٢٦م

الحديث عن غير الأنبياء كذي القرنين فال: (إِنَّا مَكَّنَّا لَهُ فِي الْأَرْضِ}، وطالوت﴿ وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ ٱللَّهَ قَدْ بَعَثَ لَكُمْ طَالُوتَ مَلِكًاۚ ﴾ البقرة: ٢٤٧

في المقابل أشارت آيات أخرى لأنواعٍ ظالمة ومستبدة من الحكم، كفرعون : ﴿ إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي ٱلْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا يَسْتَضْعِفُ طَآئِفَةً مِّنْهُمْ يُذَبِّحُ أَبْنَآءَهُمْ وَيَسْتَحْيِۦ نِسَآءَهُمْۚ إِنَّهُۥ كَانَ مِنَ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿٤﴾ ﴾ القصص: ٤

٢- القرآن والدولة

من الطبيعي أن ذكر السياسة يوجب الحديث عن الدولة، لأن السياسي عادة يمارس مهامه ضمن نظام قائم يمثل دولة معينة، بغض النظر أكانت سياسته صالحة، كسياسة آل إبراهيم وأنبياء بني إسرائيل وعلى رأسهم داوود وسليمان – عليهما السلام – وذي القرنين وملكة سبأ، أم كانت سياسة فاسدة ظالمة كسياسة فرعون والنمرود.

فهل هناك ذكر في القرآن لكلمة (الدولة) ؟ أم أن الأمر في شأنها يعود كشأن كلمة (السياسة) أي أن هناك كلمات مرادفة لها جاءت في القرآن الكريم؟

وهذا يدفعنا لضرورة تعريف الدولة!

فالدولة (هي مجموعة من الأفراد يقيمون بصفة دائمة على إقليم معين وتسيطر عليهم هيئة منظمة استقر الناس على تسميتها بالحكومة) [1] وتقوم أي دولة على أركان ثلاثة أساسية، هي : السكان والإقليم والحكومة.

ولقد أشار القرآن لِدُوَل، وإن لم يسمها دولة، لكن يتحقق فيها أركان الدولة، فهل يعقل مثلاً أن يبعث الله رسولاً من رسله على أقوام ليس لهم دولة، ثم يتحدث عن إيذاء هؤلاء الرسل! فمن يؤذيهم إذاً؟ بل من يدفع الناس لصدهم والوقوف في وجه نشر الدعوة؟ ومن يسير الجند لمطاردة الموحدين كما فعل فرعون؟.

ألم يذكر القرآن سبأ ﴿ فَمَكَثَ غَيْرَ بَعِيدٍ فَقَالَ أَحَطتُ بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهِۦ وَجِئْتُكَ مِن سَبَإِۭ بِنَبَإٍ يَقِينٍ ﴿٢٢﴾ ﴾ النمل: ٢٢ موضحاً أن امرأةً تحكمهم ﴿ إِنِّي وَجَدتُّ ٱمْرَأَةً تَمْلِكُهُمْ وَأُوتِيَتْ مِن كُلِّ شَيْءٍ وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ ﴿٢٣﴾ ﴾ النمل: ٢٣ ولها جيش : ﴿ قَالُوا۟ نَحْنُ أُو۟لُوا۟ قُوَّةٍ وَأُو۟لُوا۟ بَأْسٍ شَدِيدٍ وَٱلْأَمْرُ إِلَيْكِ فَٱنظُرِي مَاذَا تَأْمُرِينَ ﴿٣٣﴾ ﴾ النمل: ٣٣ ، ولها مستشارين – أي حكومة : ﴿ قَالَتْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَؤُا۟ أَفْتُونِي فِيٓ أَمْرِي مَا كُنتُ قَاطِعَةً أَمْرًا حَتَّىٰ تَشْهَدُونِ ﴿٣٢﴾ ﴾ النمل: ٣٢! ولهم عقيدة يلتفون حولها : ﴿ وَجَدتُّهَا وَقَوْمَهَا يَسْجُدُونَ لِلشَّمْسِ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَعْمَٰلَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ ٱلسَّبِيلِ فَهُمْ لَا يَهْتَدُونَ ﴿٢٤﴾ ﴾ النمل: ٢٤

كما أن المتأمل في الآيات التي وضحت قصة سيدنا داوود وسليمان يستنبط بوضوح أنهما كانا رؤساء للدول بجانب أنهما نبيَّين .

---

١ – جذور العلوم السياسية/ د. عاطف عدوان ص٤٠

وأشار القرآن – وبطريقة غير صريحة – للروم عل أنهم دولة حين ذكر هزيمتهم في بداية سورة الروم ويستنبط ضمناً أنهم كانوا يواجهون دولة هي دولة فارس.

وتحدث القرآن – وبطريقة غير صريحة –أن المدينة في عهد النبي صلى الله عليه وسلم (دولة) حين وصف بعض معارك المسلمين مع غيرهم كبدر وأحد وتبوك وحنين ومعاركهم مع اليهود، وحين تحدث عن الأحكام والشرائع والحدود والسلوكيات التي تضبط عمل هذا الكيان، وكذلك حين قسم فئات هذا الكيان لقسمين كبيرين هم الأفراد المسلمون في الدولة والأفراد غير المسلمين، وهكذا...

كما أن القرآن الكريم تحدث – وبطريقة غير مباشرة – عن وجوب وجود كيان ودولة للمسلمين.

ولنتأمل آية الأمراء، كما سماها الإمام ابن تيمية – رحمه الله – : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُكُمۡ أَن تُؤَدُّواْ ٱلۡأَمَٰنَٰتِ إِلَىٰٓ أَهۡلِهَا وَإِذَا حَكَمۡتُم بَيۡنَ ٱلنَّاسِ أَن تَحۡكُمُواْ بِٱلۡعَدۡلِۚ إِنَّ ٱللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُم بِهِۦٓۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ سَمِيعَۢا بَصِيرٗا ﴿٥٨﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنكُمۡۖ فَإِن تَنَٰزَعۡتُمۡ فِي شَيۡءٖ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمۡ تُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِۚ ذَٰلِكَ خَيۡرٞ وَأَحۡسَنُ تَأۡوِيلًا ﴿٥٩﴾ ﴾ النساء: ٥٨ - ٥٩

يقول ابن تيمية – رحمه الله : (قال العلماء : نزلت الآية الأولى في ولاة الأمور، عليهم أن يؤدوا الأمانات إلى أهلها، وإذا حكموا بين الناس أن يحكموا بالعدل، ونزلت الآية الثانية في الرعية من الجيوش وغيرهم، عليهم أن يطيعوا أولي الأمر الفاعلين لذلك في قَسمهم وحكمهم ومغازيهم وغير ذلك، إلا أن يأمروا بمعصية الله، فإذا أمروا بمعصية الله، فلا طاعة لمخلوق في معصية الخالق، فإن تنازعوا في شيء ردوه إلى كتاب الله وسنة رسوله – صلى الله عليه وسلم) [١]

وأشار الدكتور محمد عمارة إلى نتائج حتمية من التدبر في الآيتين السابقتين، موضحاً ذلك بالقول : (فوجود ((ولاة للأمر)) يجب عليهم أداء الأمانات إلى المحكومين.. ووجود رعية تجب عليها طاعة ((ولاة الأمر)) هؤلاء، هي فرائض دينية لا سبيل إلى الوفاء بها إذا غابت ((الدولة)) من عالم الإسلام والمسلمين... وهكذا نجد أن ((الدولة))، رغم أنها ليست فريضة قرآنية، ولا ركناً من أركان ((الدين))، إلا أنه لا سبيل، في حال غيابها، إلى الوفاء بكل الفرائض القرآنية الاجتماعية، والواجبات الإسلامية الكفائية، التي يقع الإثم بتخلفها على الأمة جمعاء، والتي كانت، كذلك، آكد من فروض الأعيان!.. فوجوب ((الدولة)، إسلامياً، يرجع إلى أنها مما لا سبيل إلى أداء الواجب الديني إلا به.. ومن هنا نجد علاقتها، وعلاقة ((السياسة)) ب ((بالدين)) في نهج الإسلام!.. إنها ((واجب مدني)) اقتضاه ويقتضيه ((الواجب الديني)) الذي فرضه الله على المؤمنين بالإسلام) [٢]

١ – السياسة الشرعية / ابن تيمية – ص٦

٢ – محمد الرسول السياسي / أ. د. محمد عمارة – ص٣١

إن أي دولة لا بد أن ترتكز على محددات لتقوم عليها، مهمتها تحديد علاقة الأفراد ببعضهم كلٌ مع الآخر حيث موقعه، وتحديد العقيدة التي ترتكز عليها هذه الدولة، وتحديد المنهج الذي تسير عليه، وتحديد آلية حماية قيم الدولة، وتحديد المجالات التي تسير من خلالها.

وبتدبر القرن الكريم نجد أنه وضح وأشار لكل ما سبق، ولتوضيح ذلك نجد أنه (لما كانت الصلة بين الدين والدولة في الإسلام ثابتة من مبتدأ القرآن إلى منتهاه، فقد توثقت العلاقة بين الرسالة والإنسان حين وقّع البيان الأول في الوحي لنوع العلاقة الجديدة بين الإسلام والحياة، فجاء في مطلع الترتيب المصحفي صراحة ﴿إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾ البقرة: ٣٠ ، ليدل الناس على أن الحياة أمانة مرعيّة فيعرف المسلم الغاية من وجوده.

ووقَّع في مطلع الترتيب النزولي إشارةً ﴿أَرَأَيْتَ الَّذِي يَنْهَىٰ ﴿٩﴾ عَبْدًا إِذَا صَلَّىٰ ﴿١٠﴾﴾ العلق: ٩ - ١٠ ، ليدل على أن صيانة دين الله لا تتم إلا في حماية القوة الراشدة.

ووقّع البيان الثاني لمنع استقلال الإنسان بنفسه عن منهاج ربه، فدل على أن كل بلاء إنما يقع في اتباع الأهواء، فقال تعالى ﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللَّهِ ۚ فَإِن تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴿٦٤﴾﴾ آل عمران: ٦٤

ووقّع البيان الثالث لوحدة الاعتقاد والحركة، فجمع العبادة في توحيد الألوهية والحاكمية فقال : ﴿إِنِ الْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ ۚ أَمَرَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ ۚ ذَٰلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٤٠﴾﴾ يوسف: ٤٠

ثم وقّع البيان الرابع لمعالم الحركة التي يريدها الله تعالى، فحدد للأمة المسلمة دورها في الحياة، فقال : ﴿ الَّذِينَ إِن مَّكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنكَرِ ۗ وَلِلَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ ﴿٤١﴾ ﴾ الحج: ٤١

ولقد كان ذلك بمكة قبل أن تكون للإسلام دولة، ثم كان بالمدينة أثناء تَكَوُّن الدولة...الإسلام والدولة) [1]

١ - كتاب الإسلام والدولة / غانم ، ص٢١-٢٢

المبحث الثالث :أثر تدبر القرآن الكريم في بناء الشخصية المسلمة سياسياً

المطلب الأول : القرآن والإنسان

الإنسان هو محور اهتمام القرآن الكريم ﴿ وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِي هَٰذَا الْقُرْآنِ لِلنَّاسِ مِن كُلِّ مَثَلٍ ۚ وَكَانَ الْإِنسَانُ أَكْثَرَ شَيْءٍ جَدَلًا ﴿٥٤﴾ ﴾ الكهف: ٥٤ ولذلك وضح الله سبب إنزاله على رسوله، فقال ﴿ الر ۚ كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ النَّاسَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِ رَبِّهِمْ إِلَىٰ صِرَاطِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ ﴿١﴾ ﴾ إبراهيم: ١ ، إلا أن الناس مختلفين في فهم ذلك، فمنهم من يتبع هذا الهدى ﴿ قَالَ اهْبِطَا مِنْهَا جَمِيعًا ۖ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ ۖ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّي هُدًى فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَىٰ ﴿١٢٣﴾ ﴾ طه: ١٢٣ ومنهم من يُعرض عنه :﴿ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَىٰ ﴿١٢٤﴾ ﴾ طه: ١٢٤.

ولا هدى للإنسان إلا إذا جعل كل حياته للهدف الذي من أجله خلقه الله، وهو العبادة بصورتها الشاملة الكاملة : ﴿ قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٦٢﴾ ﴾ الأنعام: ١٦٢

والحياة بطبعها تحتوي على جوانب عديدة، منها الجانب السياسي، حيث لا مناص من التعامل معه، لأنه – كما وضحنا في المبحثين السابقين – لا يمكن أن تنطبق شمولية العبادة دون وجود كيان إسلامي (دولة إسلامية) يستطيع الإنسان من خلالها أن يطبق مدلولات الآيتين السابقتين من سورة الأنعام، وإن الدولة بحاجة لمن يديرها وإن المجتمعات بحاجة لمن يرعاها ويصلح شأنها، ولذلك لا بد من أهل العلم والمؤمنين أن يتسلحوا من القرآن الكريم والسنة النبوية ما يعينهم على جعل مجتمعاتهم ودولهم أقرب للصلاح وأبعد عن الفساد.

ولأن القرآن يهدي للتي هي أقوم في كل شيء ﴿ إِنَّ هَٰذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ ﴾ الإسراء: ٩ ، فلا بد من تدبر ما نستطيع من آياته لاستخراج المقومات السياسية اللازمة للبناء السياسي للمسلم والتي يجب أن يتسلح بها كل مسلم وخصوصاً من تقلد منصباً أو مسئولية، لأن إدراك هذه الصفات والمميزات تدل على الفهم الصحيح والذي هو مؤشر مهم على الإخلاص حيث لا قبول لعمل دونه.

المطلب الثاني : القرآن وقواعد البناء السياسي للإنسان المسلم

وضح القرآن الكريم أن هناك قواعد لا بد أن يعيها كل مسلم ليستطيع أن يتعبد الله بعمله السياسي، وليستطيع تحقيق الأهداف المرجوة لهذا العمل ، ومن هذه القواعد :

١- أن إتيان المُلك والمسئولية هبة من الله:

فالمتدبر في العديد من الآيات القرآنية، يرى أن الله سبحانه يُنسبُ إليه فقط إتيان الملك أحداً من عباده، سواء كان هذا العبد من المؤمنين أو الكافرين، ولا أحد قادر على ذلك إلا الله سبحانه وتعالى لأن بيده مقاليد السماوات والأرض وهو على كل شيء قدير: ﴿ قُلِ ٱللَّهُمَّ مَٰلِكَ ٱلۡمُلۡكِ تُؤۡتِي ٱلۡمُلۡكَ مَن تَشَآءُ وَتَنزِعُ ٱلۡمُلۡكَ مِمَّن تَشَآءُ وَتُعِزُّ مَن تَشَآءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَآءُۖ بِيَدِكَ ٱلۡخَيۡرُۖ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ ﴿٢٦﴾ ﴾ آل عمران: ٢٦

ومما جاء في القرآن بما يخص إتيانه سبحانه الحكم للموحدين:

فقال في إشارة لسيدنا داوود عليه السلام : ﴿ فَهَزَمُوهُم بِإِذۡنِ ٱللَّهِ وَقَتَلَ دَاوُۥدُ جَالُوتَ وَءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ ٱلۡمُلۡكَ وَٱلۡحِكۡمَةَ وَعَلَّمَهُۥ مِمَّا يَشَآءُۗ وَلَوۡلَا دَفۡعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعۡضَهُم بِبَعۡضٖ لَّفَسَدَتِ ٱلۡأَرۡضُ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ ذُو فَضۡلٍ عَلَى ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿٢٥١﴾ ﴾ البقرة: ٢٥١ ، ولنتأمل في هدف إتيان سيدنا داوود الملك وهو جريان سنة التدافع في كون الله سبحانه، ثم يوضح الحق تبارك وتعالى بوراثة سليمان لداود – عليهما السلام : ﴿ وَوَرِثَ سُلَيۡمَٰنُ دَاوُۥدَۖ وَقَالَ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ عُلِّمۡنَا مَنطِقَ ٱلطَّيۡرِ وَأُوتِينَا مِن كُلِّ شَيۡءٍۖ إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلۡفَضۡلُ ٱلۡمُبِينُ ﴿١٦﴾ ﴾ النمل: ١٦ ، وكذلك تحدث القرآن عن سيدنا لوط ﴿ وَلُوطًا ءَاتَيۡنَٰهُ حُكۡمٗا وَعِلۡمٗا وَنَجَّيۡنَٰهُ مِنَ ٱلۡقَرۡيَةِ ٱلَّتِي كَانَت تَّعۡمَلُ ٱلۡخَبَٰٓئِثَۚ إِنَّهُمۡ كَانُواْ قَوۡمَ سَوۡءٖ فَٰسِقِينَ ﴿٧٤﴾ ﴾ الأنبياء: ٧٤ ، وأشار في سورة القصص كذلك لمنحه سبحانه وتعالى الملك لسيدنا موسى عليه السلام : ﴿ وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُۥ وَٱسۡتَوَىٰٓ ءَاتَيۡنَٰهُ حُكۡمٗا وَعِلۡمٗاۚ وَكَذَٰلِكَ نَجۡزِي ٱلۡمُحۡسِنِينَ ﴿١٤﴾ ﴾ القصص: ١٤

وقوله تعالى في إشارة لآل إبراهيم عليه السلام : ﴿ أَمۡ يَحۡسُدُونَ ٱلنَّاسَ عَلَىٰ مَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضۡلِهِۦۖ فَقَدۡ ءَاتَيۡنَآ ءَالَ إِبۡرَٰهِيمَ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡحِكۡمَةَ وَءَاتَيۡنَٰهُم مُّلۡكًا عَظِيمٗا ﴿٥٤﴾ ﴾ النساء: ٥٤ ، وقال سبحانه في إشارة لسيدنا يوسف عليه السلام : ﴿ ۞ رَبِّ قَدۡ ءَاتَيۡتَنِي مِنَ ٱلۡمُلۡكِ وَعَلَّمۡتَنِي مِن تَأۡوِيلِ ٱلۡأَحَادِيثِۚ فَاطِرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ أَنتَ وَلِيِّۦ فِي ٱلدُّنۡيَا وَٱلۡأٓخِرَةِۖ تَوَفَّنِي مُسۡلِمٗا وَأَلۡحِقۡنِي بِٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١٠١﴾ ﴾ يوسف: ١٠١ ، وكذلك بحق يحي عليه السلام ﴿ يَٰيَحۡيَىٰ خُذِ ٱلۡكِتَٰبَ بِقُوَّةٖۖ وَءَاتَيۡنَٰهُ ٱلۡحُكۡمَ صَبِيّٗا ﴿١٢﴾ ﴾ مريم: ١٢.

وذكر القرآن تمكين الله لذي القرنين :﴿ إِنَّا مَكَّنَّا لَهُۥ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَءَاتَيۡنَٰهُ مِن كُلِّ شَيۡءٖ سَبَبٗا ﴿٨٤﴾ ﴾ الكهف: ٨٤

وأشار سبحانه كذلك لإتيانه الملك لبني إسرائيل إجمالاً– حين كانوا موحدين وكانت لهم الخيرية –﴿ وَلَقَدۡ ءَاتَيۡنَا بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡحُكۡمَ وَٱلنُّبُوَّةَ وَرَزَقۡنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَفَضَّلۡنَٰهُمۡ عَلَى ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿١٦﴾ ﴾ الجاثية: ١٦

ومما جاء في القرآن بما يخص إتيانه سبحانه الحكم لغير الموحدين:

وأورد القرآن العديد من الآيات التي تشير إلى إتيان الله الملك لنوع آخر من البشر، فلم يشكروا نعمة الله واستخدموا هذا الأمر للفساد ونشر الظلم والاستبداد بين الناس، ومن أمثلة هؤلاء الواضحة والجلية عدو الله فرعون ﴿ وَقَالَ مُوسَىٰ رَبَّنَآ إِنَّكَ ءَاتَيْتَ فِرْعَوْنَ وَمَلَأَهُۥ زِينَةً وَأَمْوَٰلًا فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا رَبَّنَا لِيُضِلُّوا۟ عَن سَبِيلِكَ ۖ رَبَّنَا ٱطْمِسْ عَلَىٰٓ أَمْوَٰلِهِمْ وَٱشْدُدْ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُوا۟ حَتَّىٰ يَرَوُا۟ ٱلْعَذَابَ ٱلْأَلِيمَ ﴿٨٨﴾ ﴾ يونس: ٨٨ ولعظم العبر والعظات في قصته، ذُكر في القرآن ٧٤ مرة.

ومن هؤلاء – غير الموحدين – ما ذكره القرآن عن النمرود: ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِى حَآجَّ إِبْرَٰهِـۧمَ فِى رَبِّهِۦٓ أَنْ ءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ ٱلْمُلْكَ إِذْ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ رَبِّىَ ٱلَّذِى يُحْىِۦ وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا۠ أُحْىِۦ وَأُمِيتُ ۖ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ فَإِنَّ ٱللَّهَ يَأْتِى بِٱلشَّمْسِ مِنَ ٱلْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ ٱلْمَغْرِبِ فَبُهِتَ ٱلَّذِى كَفَرَ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٢٥٨﴾ ﴾ البقرة: ٢٥٨.

فالتدبر في مثل هذه الآيات يجعل الشخصية السياسية المؤمنة تتربى على الاطمئنان لأمر الله فيما يخص الحكم وشؤونه وعدم المزاحمة على هذه المناصب السياسية وما يترتب على ذلك من ضغائن وأكاذيب وافتراءات بين القرناء، فهذا من فضل الله الذي ينعم به على من يشاء من عباده ﴿ أَمْ يَحْسُدُونَ ٱلنَّاسَ عَلَىٰ مَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ ۖ فَقَدْ ءَاتَيْنَآ ءَالَ إِبْرَٰهِيمَ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَءَاتَيْنَٰهُم مُّلْكًا عَظِيمًا ﴿٥٤﴾ ﴾ النساء: ٥٤ ، لأنه لا يعلم الحكمة من إتيان الملك لأي من خلق الله إلا الله وحده، والإنسان مهما علا شأنه يبقى قاصراً في معرفة طبيعة الحكمة وضوابط الخير: ﴿ قُلِ ٱللَّهُمَّ مَٰلِكَ ٱلْمُلْكِ تُؤْتِى ٱلْمُلْكَ مَن تَشَآءُ وَتَنزِعُ ٱلْمُلْكَ مِمَّن تَشَآءُ وَتُعِزُّ مَن تَشَآءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَآءُ ۖ بِيَدِكَ ٱلْخَيْرُ ۖ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٦﴾ ﴾ آل عمران: ٢٦.

وبزيادة التدبر لهذه الآية نزداد يقيناً أن الخير والقدرة فقط بيد الله وحده سبحانه، مما يجعل السياسي المسلم لا يلجأ في أي حال إلا لله وحده فهو الذي بيده الخير لا غيره ومن اللطائف أن نعلم أن (تقديم الجار والمجرور { بِيَدِكَ } لإفادة الاختصاص، أي بيدك وحدك على الحقيقة لا بيد غيرك)[١]

وكذلك (لو دقق كل منا النظر إلى مجريات الأمور، لوجد أن: الله هو الذي يؤتي، والله هو الذي ينزع، والله هو الذي يعز، والله هو الذي يذل، ولا بد أن يكون في كل ذلك صور للخير في الوجود، فيقول: ﴿ بِيَدِكَ ٱلْخَيْرُ ۖ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٦﴾ ﴾ آل عمران: ٢٦

٢- العلم والحكمة أساس المُلك والحكم الصالح :

بالرجوع للآيات السابقات والتدبر فيها، نلحظ أن الله حينما ذكر إتيانه الملك للصالحين من عباده أضاف له إتيانه إياهم أسس القيام بهذا الأمر، وعبر عن ذلك تارة بالحكمة وتارةً بالعلم أوب تأويل الأحاديث، بينما لم يذكر ذلك لغير الصالحين، وإلا صلح ملكهم، فذكر أنه آتي فرعون الزينة والمال (وَقَالَ مُوسَىٰ رَبَّنَآ إِنَّكَ

١ – التفسير الوسيط / طنطاوي

آتَيْتَ فِرْعَوْنَ وَمَلأَهُ زِينَةً وَأَمْوَالاً فِي ٱلْحَيَاةِ ٱلدُّنْيَا) [١]، ولم يذكر شيئاً بالخصوص عن النمرود ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِى حَآجَّ إِبْرَٰهِـۧمَ فِى رَبِّهِۦٓ أَنْ ءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ ٱلْمُلْكَ إِذْ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ رَبِّىَ ٱلَّذِى يُحْىِۦ وَيُمِيتُ ﴾ البقرة: ٢٥٨.

إذاً لا بد لكل مسلم يريد الولوج في أمور السياسة – حيث أن إتيان الملك أحد صور ممارستها – عليه التزود بالحكمة والعلم اللذان تؤهله للقيام بعمله على أكمل وجه حتى يتحقق مفهوم التعبد إلى الله بسياسة الناس وقيادتهم، كما كان خُلق وفعل الأنبياء ﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ وَسُلَيْمَـٰنَ عِلْمًا ۖ وَقَالَا ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى فَضَّلَنَا عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّنْ عِبَادِهِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٥﴾ ﴾ النمل: ١٥ ، أما الجهل بالعلوم اللازمة لسياسة الناس فإنه يجعل ممارسة السياسة وبالاً عليه يوم القيامة، كما حدث مع فرعون وقارون وهامان ﴿ وَقَـٰرُونَ وَفِرْعَوْنَ وَهَـٰمَـٰنَ ۖ وَلَقَدْ جَآءَهُم مُّوسَىٰ بِٱلْبَيِّنَـٰتِ فَٱسْتَكْبَرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا كَانُوا۟ سَـٰبِقِينَ ﴿٣٩﴾ ﴾ العنكبوت: ٣٩ ، وهذا ما أشار إلى مثله رسول الله – صلى الله عليه وسلم، فعن معقل بن يسار أن رسول الله – صلى الله عليه وسلم – قال : (ما من إمامٍ ولا والٍ بات ليلةً سوداءَ غاشًّا لرعيَّتِه ؛ إلا حرَّم اللهُ عليه الجنَّة) [٢]

٣- وجوب أداء الأمانات إلى أهلها :

إن المتأمل في قول الله تعالى : ﴿ ۞ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤَدُّوا۟ ٱلْأَمَـٰنَـٰتِ إِلَىٰٓ أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُم بَيْنَ ٱلنَّاسِ أَن تَحْكُمُوا۟ بِٱلْعَدْلِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُم بِهِۦٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ سَمِيعًۢا بَصِيرًا ﴿٥٨﴾ ﴾ النساء: ٥٨ يفهم أن تأدية الأمانة صفة أساسية لمن يجب أن نختاره من الساسة – حكاماً كانوا أو قضاة – لنوليه أمرنا أو ليقضي بيننا. والآية تشير إلى جميع أنواع الأمانات سواء كانت في حق الله أو حق غيره من المخلوقات، يقول الإمام ابن كثير أن تأدية الأمانات (يَعُمّ جَمِيع الْأَمَانَات الْوَاجِبَة عَلَى الْإِنْسَان مِنْ حُقُوق اللَّه عَزَّ وَجَلَّ عَلَى عِبَاده مِنْ الصَّلَاة وَالزَّكَاة وَالصِّيَام وَالْكَفَّارَات وَالنُّذُور وَغَيْر ذَلِكَ مِمَّا هُوَ مُؤْتَمَن عَلَيْهِ لَا يَطَّلِع عَلَيْهِ الْعِبَاد وَمِنْ حُقُوق الْعِبَاد بَعْضهمْ عَلَى بَعْض كَالْوَدَائِعِ وَغَيْر ذَلِكَ مِمَّا يُؤْتَمَنُونَ بِهِ) [٣].

وسبب جعل تأدية الأمانات معياراً لاختيار ساستنا أن (الأمانة ترجع إلى خشية الله، وألا يشتري بآياته ثمناً قليلاً، وترك خشية الناس، وهذه الخصال الثلاث التي اتخذها الله على كل من حكم على الناس، في قوله تعالى : ﴿ فَلَا تَخْشَوُا۟ ٱلنَّاسَ وَٱخْشَوْنِ وَلَا تَشْتَرُوا۟ بِـَٔايَـٰتِى ثَمَنًا قَلِيلًا ۚ وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَـٰفِرُونَ ﴿٤٤﴾ ﴾ المائدة: ٤٤ [٤]

---

١ – سورة يونس / الآية ٨٨

٢ – الألباني / صحيح الجامع 5740

٣ – تفسير القرآن العظيم لابن كثير ١/ ٦٨٥

٤ – السياسة الشرعية لابن تيمية ص ٢١

٤- التسلح بالقوة بمفهومها الشامل

لقد فهم الإمام ابن تيمية[١]–رحمه الله – أن للولاية ركنان وهما القوة والأمانة مستشهدا بقول الله تعالى : ﴿ قَالَتۡ إِحۡدَىٰهُمَا يَٰٓأَبَتِ ٱسۡتَـٔۡجِرۡهُۖ إِنَّ خَيۡرَ مَنِ ٱسۡتَـٔۡجَرۡتَ ٱلۡقَوِيُّ ٱلۡأَمِينُ ﴿٢٦﴾ ﴾ القصص: ٢٦ وغيرها من الآيات..

فالأمين لا بد له أن يكون قوياً ليؤدي ما عليه من أمانات، فلا بد له من قوة الإيمان اللازمة لتأدية حقوق الخالق والمخلوقين، ولكل أمانة قوتها اللازمة لتأديتها، لكن أساس أي قوة هي خشية الله والاعتماد عليه ثم امتلاك القوة اللازمة لتأدية كل نوع من أنواع الأمانات.

كما أن القوة إن لم تستخدم في إرجاع حقوق الناس والحكم بينهم بالعدل تنقلب لآلة للبطش والظلم والفساد والإفساد، وهذا ما سنتطرق إليه بعد قليل.

٥- الرجوع لحكم الله في شتى الأمور فرض :

التدبر يقول الله تعالى ﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤۡمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيۡنَهُمۡ ثُمَّ لَا يَجِدُواْ فِيٓ أَنفُسِهِمۡ حَرَجٗا مِّمَّا قَضَيۡتَ وَيُسَلِّمُواْ تَسۡلِيمٗا ﴿٦٥﴾ ﴾ النساء: ٦٥ ، يقسم بذاته ويضم في القسم رسول الله وهو أفضل خلقه ويستخدم أسلوب المخاطبة، فقال (وربك)، وهذه دلالة على عظم المسألة وأهميتها، وأن حكم الرسول هو حكم الله، والرسول هنا يمثل الحاكم المتسلح بمنهج الله، ونلحظ أن طلب حكم الله في مسألة ما ليس كافياً لإثبات الإيمان، بل لا بد: من الاطمئنان القلبي (ثُمَّ لاَ يَجِدُواْ فِيۤ أَنْفُسِهِمْ حَرَجاً مِّمَّا قَضَيْتَ)..... والتطبيق العملي (وَيُسَلِّمُواْ تَسْلِيماً) يقول الإمام ابن كثير : (يقسم تعالى بنفسه الكريمة المقدسة أنه لا يؤمن أحد حتى يحكم الرسول صلى الله عليه وسلم في جميع الأمور، فما حكم به، فهو الحق الذي يجب الانقياد له باطناً وظاهراً، ولهذا قال: { ثُمَّ لاَ يَجِدُواْ فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجاً مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُواْ تَسْلِيماً } أي: إذا حكموك، يطيعونك في بواطنهم، فلا يجدون في أنفسهم حرجاً مما حكمت به، وينقادون له في الظاهر والباطن، فيسلمون لذلك تسليماً كلياً من غير ممانعة ولا مدافعة ولا منازعة، كما ورد في الحديث: " والذي نفسي بيده، لا يؤمن أحدكم حتى يكون هواه تبعاً لما جئت به ")[٢]

١ - انظر المرجع السابق – ص٢٠

٢ - تفسير القرآن العظيم / ابن كثير – ج١- ص٦٩١

٦- رئاسة قوم جزء من السياسة لا كلها:

يوضح لنا القرآن الكريم بأنه ليس من الضروري أن يكون المسلم حاكماً ليمارس السياسة، فالسياسة لا تعني الملك أو الحكم بالضرورة (رَبِّ ﴿ ۞ رَبِّ قَدْ ءَاتَيْتَنِى مِنَ ٱلْمُلْكِ وَعَلَّمْتَنِى مِن تَأْوِيلِ ٱلْأَحَادِيثِ ۚ فَاطِرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ أَنتَ وَلِىِّۦ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ ۖ تَوَفَّنِى مُسْلِمًا وَأَلْحِقْنِى بِٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١٠١﴾ ﴾ يوسف: ١٠١ مِنَ الْمُلْكِ) [١] ، فسيدنا يوسف لم يكن حاكماً بل كان جزءا من منظومة حاكمة ولنلحظ كلمة (مِنَ الْمُلْكِ)، قال الإمام الرازي رحمه الله : ({مِنَ ٱلْمُلْكِ ، وَمِنْ تَأْوِيلِ ٱلْأَحَادِيثِ } للتبعيض، لأنه لم يؤت إلا بعض ملك الدنيا أو بعض ملك مصر وبعض التأويل. قال الأصم: إنما قال من الملك، لأنه كان ذو ملك فوقه.) [٢]

وبتدبر هذه الآية وتدبر معظم آيات سورة يوسف نرى أنه لا بد من أن تكون الشخصية السياسية الصالحة مستعدة دائماً للمساهمة في الرقي بالمجتمع وبنشر العدل والحفاظ على مكتسباته والذود عنه، والتأهب في كل لحظة لبذل ما يمكن إنقاذه، فبرغم ما أصاب سيدنا يوسف من ظلم القوم له ومكوثه في السجن بسبب ذلك، إلا أنه قَبِل بعدها بخدمة قومه لينقذهم من المجاعة والهلاك وقدم لهم الحل[٣].

٧- القدرة على اللين والتجميع

التدبر في آيات القرآن الكريم التي تتحدث عن الطواغيت والظالمين وعاقبتهم تؤدي حتما بالمتدبر للبعد عن صفات هؤلاء الظلمة والطغاة والاستعداد النفسي والسلوكي والأخلاقي الدائم للعدل والمساواة بين الرعية واللين لهم والعمل على وحدة كلمتهم وتجميع صفهم، فحينما ذم الله فرعون قال ﴿ إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِى ٱلْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا يَسْتَضْعِفُ طَآئِفَةً مِّنْهُمْ يُذَبِّحُ أَبْنَآءَهُمْ وَيَسْتَحْىِۦ نِسَآءَهُمْ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ مِنَ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿٤﴾ ﴾ القصص: ٤ ، فالآيات توحي بأن فرعون كان متعالياً أي متكبراً مستبداً في الأرض، وأنه جعل قومه طبقات وجماعات، وأنه كان يستغل ويستعبد ويزدري جماعة منهم، والمقصود هنا بنو إسرائيل، حيث بعد الرؤيا التي أفزعته أصبح يقتل الذكور من مواليدهم ويُبقي على الإناث منهم، ولذلك نعته الله سبحانه بالمفسد.. والشخصية السياسية المسلمة لا بد أن ينبني نهجها على الإصلاح لا الإفساد، وهي لن تحقق ذلك إلا بالتواضع لا العلو، وبالمساواة والوحدة لا بالتمييز والفرق، وبالحفاظ على أرواح الناس لا بإزهاقها، يقول الله تعالى مشيراً لذلك : ﴿ وَتَعَاوَنُوا۟ عَلَى ٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰ ۖ وَلَا تَعَاوَنُوا۟ عَلَى ٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿٢﴾ ﴾ المائدة: ٢ ، وقال تعالى : ﴿ أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ يُجَٰهِدُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ

---

١ سورة يوسف / الآية ١٠١

٢ - مفاتيح الغيب / الرازي

٣ - انظر سورة يوسف / الآية ٤٦-٤٩

﴿وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَآئِمٍۚ ذَٰلِكَ فَضْلُ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٥٤﴾﴾ المائدة: ٥٤ وقال أيضاً – سبحانه وتعالى –﴿أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ ﴾ الفتح: ٢٩

ولقد ضرب ابن تيمية مثلاً على تطبيق ذلك، فقال (..لما ولي أبو بكر وعمر رضي الله عنهما صارا كاملين في الولاية، واعتدل منهما ما كان ينسبان فيه أحد الطرفين في حياة النبي –صلى الله عليه وسلم – من لين أحدهما وشدة الآخر، حتى قال فيهما النبي - صلى الله عليه وسلم – اقتدوا باللذين من بعدي أبي بكر وعمر) [١]

٨- الإلمام بأخبار الدول والمجتمعات المحيطة والمؤثرة

القرآن الكريم ينبه المسلم بشكل عام والسياسي بشكل خاص في العديد من آياته لأهمية وضرورة تتبع أمور أمته الداخلية وما يحيط بها، حتى لو كان المسلم مستضعفاً لا يملك كياناً بعد، وهذا نفهمه من تدبرنا لأوائل سورة الروم والتي نزلت في مكة حيث أن المسلمين لم يكونوا آمنين بعد ليكون لهم دولة، لكن القرآن ينبههم للاهتمام خارج حدودهم ومراقبة حركة التطور السياسي العالمية، قال الله تعالى ﴿الٓمٓ ﴿١﴾ غُلِبَتِ ٱلرُّومُ ﴿٢﴾ فِىٓ أَدْنَى ٱلْأَرْضِ وَهُم مِّنۢ بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ ﴿٣﴾ فِى بِضْعِ سِنِينَۗ ﴾ الروم: ١ - ٤.

كما أن القرآن أخبر الرسول صلى الله عليه وسلم والمؤمنين ببعض صفات اليهود وهم في مكة قبل انتقالهم للمدينة، وأشار لشراسة الصراع معهم ولديمومته، وذلك من خلال أوائل وأواخر سورة الإسراء، فقال الله في أولها مشيراً لشراسة وطول الصراع معهم :﴿وَقَضَيْنَآ إِلَىٰ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ فِى ٱلْكِتَٰبِ لَتُفْسِدُنَّ فِى ٱلْأَرْضِ مَرَّتَيْنِ وَلَتَعْلُنَّ عُلُوًّا كَبِيرًا ﴿٤﴾﴾ الإسراء: ٤ ، وأعاد التأكيد على ذلك في آخرها : ﴿ وَقُلْنَا مِنۢ بَعْدِهِۦ لِبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱسْكُنُوا۟ ٱلْأَرْضَ فَإِذَا جَآءَ وَعْدُ ٱلْءَاخِرَةِ جِئْنَا بِكُمْ لَفِيفًا ﴿١٠٤﴾﴾ الإسراء: ١٠٤ ، وبتدبر هذه الآيات وغيرها نرى أنها توحي ببعض صفات بني إسرائيل كسوء الطبع والكبر والظلم والإفساد وحب العزلة عن المجتمعات، وإن كان المقام لا يتسع لسرد مثل هذه الصفات، لكن القرآن نبه المسلمين لذلك قبل تعاملهم معهم ولذلك لم يستطع اليهود النيل من الدعوة والدولة في المدينة في عهد رسول الله – صلى الله عليه وسلم– ولا في عهد الراشدين – رضي الله عنهم.

فسورة الأعراف، وهي سورة مكية، تحدثت أيضاً عن بعض طباعهم، فبعد أن توعدهم فرعون بإعادة تقتيل أبنائهم واستحياء نسائهم كما فعل معهم عند ولادة نبي الله موسى، بعدها حثهم موسى على

١ – السياسة الشرعية / ابن تيمية – ص ٢٥-٢٦

الاستعانة بالله والصبر وأشار إلى سنة من سنن الله في كونه وهي توريث الله الأرض لعباده الصالحين، وبرغم ما وجدوا من آيات ومعجزات وصلت لتسع، إلا أنهم لم يحسنوا الأدب والفهم ﴿ **قَالُوٓاْ أُوذِينَا مِن قَبۡلِ أَن تَأۡتِيَنَا وَمِنۢ بَعۡدِ مَا جِئۡتَنَاۚ قَالَ عَسَىٰ رَبُّكُمۡ أَن يُهۡلِكَ عَدُوَّكُمۡ وَيَسۡتَخۡلِفَكُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَيَنظُرَ كَيۡفَ تَعۡمَلُونَ ١٢٩** ﴾ الأعراف: ١٢٩ ، أي "فكأن مجيئك لم يفدنا شيئاً لأننا مقيمون على العذاب الذي كنا نُسامه. فلا حاجة لنا بك، ولا ضرورة في أن تكون موجوداً؛ بدليل أن الذي حدث بعدك هو الذي حدث قبلك " [١]

كما أن سورة التوبة وضحت للمؤمنين طبيعة الأعراب – أي أهل البادية – حيث العديد منهم محيط بالمدينة، فبينت أن السواد الأعظم منهم شديدو الكفر والنفاق وقليلو العلم والهداية ، وأن منهم جزء ينتظر لحظة ضعف للمسلمين لينقض عليهم، وجزء آخر مؤمن : ﴿ **ٱلۡأَعۡرَابُ أَشَدُّ كُفۡرٗا وَنِفَاقٗا وَأَجۡدَرُ أَلَّا يَعۡلَمُواْ حُدُودَ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِۦۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٞ ٩٧ وَمِنَ ٱلۡأَعۡرَابِ مَن يَتَّخِذُ مَا يُنفِقُ مَغۡرَمٗا وَيَتَرَبَّصُ بِكُمُ ٱلدَّوَآئِرَۚ عَلَيۡهِمۡ دَآئِرَةُ ٱلسَّوۡءِۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٞ ٩٨ وَمِنَ ٱلۡأَعۡرَابِ مَن يُؤۡمِنُ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ وَيَتَّخِذُ مَا يُنفِقُ قُرُبَٰتٍ عِندَ ٱللَّهِ وَصَلَوَٰتِ ٱلرَّسُولِۚ أَلَآ إِنَّهَا قُرۡبَةٞ لَّهُمۡۚ سَيُدۡخِلُهُمُ ٱللَّهُ فِي رَحۡمَتِهِۦٓۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ٩٩** ﴾ التوبة: ٩٧ ـ ٩٩ ، وأظهرت العديد من الأحداث حسن فهم النبي لطباعهم وكيف تصرف معهم، (ولما أهدى ذلك الأعرابي تلك الهدية لرسول الله صلى الله عليه وسلم فرد عليه أضعافها حتى رضي، قال: " لقد هممت أن لا أقبل هدية إلا من قرشي أو ثقفي أو أنصاري أو دوسي " ؛ لأن هؤلاء كانوا يسكنون المدن مكة والطائف والمدينة واليمن، فهم ألطف أخلاقاً من الأعراب؛ لما في طباع الأعراب من الجفاء) [٢]

ولقد قصّ الله علينا قصة سيدنا سليمان – وهو رئيس الدولة – مع الهدهد ومع ملكة سبأ، حيث فيها من الفوائد والعظات الجمة، ومنها : كيف أن الحاكم سليمان له جنود – أي عيون – وظيفتهم تحسس أخبار الأمم المحيطة بمملكته ليتمكن من التجهز لأي طارئ من جهتهم، وهذا ما يُعرف اليوم بالأمن القومي للدولة، حيث جاءه أحد جنوده – وهو الهدهد بأخبار مملكة سبأ :﴿ **فَمَكَثَ غَيۡرَ بَعِيدٖ فَقَالَ أَحَطتُ بِمَا لَمۡ تُحِطۡ بِهِۦ وَجِئۡتُكَ مِن سَبَإِۭ بِنَبَإٖ يَقِينٍ ٢٢** ﴾ النمل: ٢٢ .

---

١ – خواطر محمد متولي الشعراوي

٢ – تفسير القرآن العظيم / ابن كثير – ج٢- ص٥٠٤

٩- القدرة على معرفة خصائص ومكونات المجتمع والتعامل معها:

المتدبر للعديد من آيات القرآن الكريم يوقن أنه من الضرورة أن يتنبه المسلمون وبالذات السياسيون والحكام لطبيعة مكونات المجتمع وفهم طبيعة وتقاليد وعادات كل فريق أو طائفة أو جماعة منه ورصد حركاتهم وتصرفاتهم حتى يستقر المجتمع وتستقر الدولة، فالقرآن صنّف المجتمع المسلم في المدينة لقسمين رئيسين هما المؤمنون والمنافقون، وقسم المؤمنين لقسمين رئيسين هما المهاجرون والأنصار من ناحية الجذور الوطنية، فقال: ﴿ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ آوَوا وَّنَصَرُوا أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا ۚ لَّهُم مَّغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٧٤﴾ ﴾ الأنفال: ٧٤ ، لكنه قسمهم لثلاث فئات من ناحية الالتزام بالمنهج، فقال سبحانه : ﴿ ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا ۖ فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِ وَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ بِإِذْنِ اللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ ﴿٣٢﴾ ﴾ فاطر: ٣٢ .

ولقد أورد الإمام الرازي في تفسيره للآية ٨١ من سورة التوبة أن من وجوه تسمية من لم يلحق بالرسول صلى الله عليه وسلم في غزوة تبوك بالمخلّفين، لا المتخلفين (أن الرسول عليه السلام منع أقواماً من الخروج معه لعلمه بأنهم يفسدون ويشوشون)[1]، وهذا يدلنا على أهمية معرفة صفات وأخلاق كل مكون من مكونات المجتمع لتستقر الدولة ويستقر المجتمع.

خلاصة القول أن السياسي المسلم وخصوصاً المسئول والحاكم لا بد له من معرفة طباع وصفات وتوجهات كل قوم يحيط بالدولة من الخارج وكل طائفة من مكونات المجتمع ليحسن التفكير والتدبير والسياسة.

١٠- القدرة على استقراء الأحداث والاستعداد لها .

مما سبق في النقطة السابقة وبالتدبر في بعض آيات سورة الإسراء وسورة الأعراف، يتضح لنا ضرورة أن يكون السياسي المسلم قادراً على استقراء الأحداث والتهيؤ لها، فبعد أن وضح الله بعض صفات اليهود للرسول والمسلمين، استطاعوا في المدينة لجمهم وتحجيمهم حتى انتهى الأمر لإبعادهم عن أرض الحجاز كلياً في عهد الفاروق رضي الله عنه وأرضاه.

---

١ - مفاتيح الغيب / الرازي

وبتدبر آيات تحويل القبلة يسترشد السياسي المسلم لضرورة الاستعداد السياسي والاجتماعي لمنع النيل من المجتمع ولحماية قرار قيادته الصالحة من العابثين السفهاء ﴿ سَيَقُولُ ٱلسُّفَهَآءُ مِنَ ٱلنَّاسِ مَا وَلَّىٰهُمْ عَن قِبْلَتِهِمُ ٱلَّتِي كَانُوا۟ عَلَيْهَا ۚ قُل لِّلَّهِ ٱلْمَشْرِقُ وَٱلْمَغْرِبُ ۚ يَهْدِى مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿١٤٢﴾ ﴾ البقرة: ١٤٢ ، قال صاحب الكشاف: " فإن قلت، أي فائدة في الإخبار بقولهم قبل وقوعه؟ قلت: فائدته أن مفاجأة المكروه أشد، والعلم به قبل وقوعه أبعد من الاضطراب إذا وقع، لما يتقدمه من توطين النفس، وأن الجواب العتيد قبل الحاجة إليه أقطع للخصم وأرد لشغبه – نقلاً عن الوسيط"[1].

ولقد هيأ الوحيُ النبيَ وصحابتَه لِما ستؤول إليه الأمور بعد رجوعهم من غزوة تبوك للمدينة، حيث كثرة المخلّفين، فوجّهَهُ والجماعة المؤمنة لكيفية التعامل معهم فقال سبحانه : ﴿ يَعْتَذِرُونَ إِلَيْكُمْ إِذَا رَجَعْتُمْ إِلَيْهِمْ ۚ قُل لَّا تَعْتَذِرُوا۟ لَن نُّؤْمِنَ لَكُمْ قَدْ نَبَّأَنَا ٱللَّهُ مِنْ أَخْبَارِكُمْ ۚ وَسَيَرَى ٱللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُۥ ثُمَّ تُرَدُّونَ إِلَىٰ عَٰلِمِ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٩٤﴾ سَيَحْلِفُونَ بِٱللَّهِ لَكُمْ إِذَا ٱنقَلَبْتُمْ إِلَيْهِمْ لِتُعْرِضُوا۟ عَنْهُمْ ۖ فَأَعْرِضُوا۟ عَنْهُمْ ۖ إِنَّهُمْ رِجْسٌ ۖ وَمَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ جَزَآءًۢ بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴿٩٥﴾ يَحْلِفُونَ لَكُمْ لِتَرْضَوْا۟ عَنْهُمْ ۖ فَإِن تَرْضَوْا۟ عَنْهُمْ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يَرْضَىٰ عَنِ ٱلْقَوْمِ ٱلْفَٰسِقِينَ ﴿٩٦﴾ ﴾ التوبة: ٩٤ - ٩٦ ، فلنتأمل قوله تعالى : يعتذرون، سيحلفون، يحلفون.. ثم لنتأمل توجيه الوحي للتصرف المناسب معهم : قل لا تعتذروا....، فأعرضوا عنهم....، فإن ترضَوا عنهم...هذا التأمل والتدبر سيوصلنا حتماً إلى نتيجة هامة أن أحد أهم أدوات حفظ الحكم ورشده مراقبة المفسدين بشكل جيد والقدرة على التعامل مع أي حدث من قِبَلهم، وإلا ستكون البلد في فوضى ولن يستقر الحكم أبدا.

ومن المهم – ولاكتمال صورة المشهد – أن لا ننسى أن الوحي قد أمر النبي بعدم الإذن لهم للخروج معه بعد ذلك : ﴿ فَإِن رَّجَعَكَ ٱللَّهُ إِلَىٰ طَآئِفَةٍ مِّنْهُمْ فَٱسْتَـْٔذَنُوكَ لِلْخُرُوجِ فَقُل لَّن تَخْرُجُوا۟ مَعِىَ أَبَدًا وَلَن تُقَٰتِلُوا۟ مَعِىَ عَدُوًّا ﴾ التوبة: ٨٣ وهذا أحد أنواع الإرشاد الإلهي للنبي والجماعة المؤمنة بعده في كيفية التعامل مع هؤلاء وأمثالهم.

١١- الاستعداد لمرحلة الاستخلاف والتمكين

لقد نزلت سورة الأعراف في مكة، ومما عالجته السورة جوانب من قصة بني إسرائيل، وكأنها –كما أسلفنا – تُهيأ المؤمنين لمرحلة قادمة سيتعامل المسلمون فيها مع اليهود، والقصص القرآني للعبرة لا للتسلية ﴿ لَقَدْ كَانَ فِى قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ ۗ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَىٰ وَلَٰكِن تَصْدِيقَ ٱلَّذِى بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَىْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿١١١﴾ ﴾ يوسف: ١١١.

١ - نقله صاحب تفسير الوسيط

وتستوقفنا آية مهمة، وهي قول الله على لسانهم ولسان نبيهم موسى –عليه السلام – ﴿ قَالُوٓاْ أُوذِينَا مِن قَبۡلِ أَن تَأۡتِيَنَا وَمِنۢ بَعۡدِ مَا جِئۡتَنَاۚ قَالَ عَسَىٰ رَبُّكُمۡ أَن يُهۡلِكَ عَدُوَّكُمۡ وَيَسۡتَخۡلِفَكُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَيَنظُرَ كَيۡفَ تَعۡمَلُونَ ﴿١٢٩﴾ ﴾ الأعراف: ١٢٩

وهنا إشارة إلى بعض استحقاقات الاستحلاف والتمكين، وهو ابتلاء، يقول الشيخ محمد سيد طنطاوي – رحمه الله – ({ وَيَسْتَخْلِفَكُمْ فِي ٱلأَرْضِ } أي يجعلكم خلفاء فيها من بعد هلاكه هو وشيعته. { فَيَنظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ } أي: فيرى – سبحانه – الكائن منكم من العمل، حسنه وقبيحه، ليجازيكم على حسب أعمالكم، فإن استخلافكم في الأرض من بعد هلاك أعدائكم ليس محاباة لكم، وإنما هو استخلاف للاختبار والامتحان، فإن أحسنتم زادكم الله من فضله، وإن أسأتم كان مصيركم كمصير أعدائكم.) [1].

فسُنن الله لا تحابي أحدا، وعليه لا بد للمسلم السياسي في أي موقع كان أن يتهيأ للاستخلاف والتمكين حتى يدوم ذلك الفضل من الله على الجماعة والأمة، وهذا ما أشار إليه الحبيب المصطفى صلى الله عليه وسلم حين قال : (فو اللهِ لا الفقرُ أخشى عليكم ، ولكن أخشى عليكم أن تُبْسَطَ عليكمُ الدنيا ، كما بُسِطَتْ على من كان قبلكم ، فتَنَافسوها كما تَنَافسوها ، وتُهْلِككم كما أهلكتهم) [2]، وهذا ما فقهه سيدنا عمر – رضي الله عنه –حين قال (تفقَّهوا قبلَ أن تُسَوَّدوا) [3]، فلا ينبغي للجماعة المسلمة وخصوصاً من عمل في حقل السياسة منها أن تنتظر حتى تتمكن وتُستخلف، بل عليها التجهز على كل الصُعُد، فكأن الآية تشير على أن المحافظة على الاستحلاف والتمكين أصعب من الوصول إليه.

وعند التدبر – كذلك – في قول الله :﴿ وَقُلِ ٱعۡمَلُواْ فَسَيَرَى ٱللَّهُ عَمَلَكُمۡ وَرَسُولُهُۥ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَۖ وَسَتُرَدُّونَ إِلَىٰ عَٰلِمِ ٱلۡغَيۡبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ ﴿١٠٥﴾ ﴾ التوبة: ١٠٥ ، نلحظ أن الله جعل المؤمنين حُكّاماً على صحة العمل من عدمه – بعد الله ورسوله –، ولصحة أي عمل لا بد أن يتوفر فيه الفهم والإخلاص وحسن التطبيق والتضحية من أجله، ولا إخلاص دون إتقان، ولا إتقان دون علم وممارسة ، وهذا لا يتم إلا بحسن الفهم، ولقد أوصانا رسول الله قائلاً : (إنَّ اللهَ تعالى يُحِبُّ إذا عمِلَ أحدُكمْ عملًا أنْ يُتقِنَهُ) [4]

---

١ - تفسير الوسيط / سيد طنطاوي

٢ - صحيح البخاري رقم 3158

٣ - فتح الباري /لابن حجر1/199

٤ - صحيح الجامع/ الألباني الرقم188 :

ولنا وقفة تدبر أخرى مع هذه الآية عند الحديث عن مقومات الحكم الرشيد إن شاء الله تعالى.

١٢- إتقان فن الكيد الحسن

لقد أكرم الله سيدنا يوسف – عليه السلام – بجزء من الملك، حيث عينه ملك مصر أميناً على خزائن الأرض، وهذا يشبه اليوم وزارة الاقتصاد أو وزارة المالية، مما جعله يمارس السياسة، ولذلك المتدبر لهذه الآيات التي تحدثت عن ذلك يرى أنها تشير إلى أمر ضروري يحتاجه المسئول السياسي ليتمكن من النجاح، وهذا الأمر هو توفيق الله له لإتقان ممارسة الكيد الحسن .

قال الزمخشري في تفسيره الكشاف موضحاً : { كَذَٰلِكَ كِدْنَا } مثل ذلك الكيد العظيم كدنا { لِيُوسُفَ } يعني علمناه إياه وأوحينا به إليه {مَا كَانَ لِيَأْخُذَ أَخَاهُ فِي دِينِ ٱلْمَلِكِ } تفسير للكيد وبيان له)) [١]، ثم قال رحمه الله : (وحكم هذا الكيد حكم الحيل الشرعية التي يتوصل بها إلى مصالح ومنافع دينية، كقوله تعالى لأيوب عليه السلام { :وَخُذْ بِيَدِكَ ضِغْثاً }ص٤٤ ،ليتخلص من جَلدها ولا يحنث، وكقول إبراهيم عليه السلام: هي أختي، لتسلم من يد الكافر. وما الشرائع كلها إلا مصالح وطرق إلى التخلص من الوقوع في المفاسد، وقد علم الله تعالى في هذه الحيلة التي لقنها يوسف مصالح عظيمة فجعلها سلماً وذريعة إليها، فكانت حسنة جميلة وانزاحت عنها وجوه القبح) [٢]

وأورد القرطبي في الجامع لأحكام القرآن ثلاثة معان لكدنا، وهي صنعنا ودبّرنا وأردنا، ثم قال : (وفيه جواز التوصل إلى الأغراض بالحِيل إذا لم تخالف شريعة، ولا هدمت أصلاً، خلافاً لأبي حنيفة في تجويزه الحيل وإن خالفت الأصول، وخرَمت التحليل.) [٣]

ويقول الإمام ابن كثير في تفسير القرآن العظيم :({ ثُمَّ ٱسْتَخْرَجَهَا مِن وِعَاءِ أَخِيهِ } فأخذه منهم بحكم اعترافهم والتزامهم، وإلزاماً لهم بما يعتقدونه، ولهذا قال تعالى: { كَذَٰلِكَ كِدْنَا لِيُوسُفَ } وهذا من الكيد المحبوب المراد الذي يحبه الله ويرضاه؛ لما فيه من الحكمة والمصلحة المطلوبة) [٤]

١٣- إدراك السنن الكونية السياسية

لقد جعل الله في الكون سنناً لا تتبدل ولا تتغير ﴿فَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ ٱللَّهِ تَبْدِيلًا وَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ ٱللَّهِ تَحْوِيلًا ﴿٤٣﴾﴾ فاطر: ٤٣.

وإن أكثر من يجب عليه الانتباه لسنن الله في خلقه هم أصحاب المسئولية السياسية، لأن معظم هذه السنن تخصهم بالذات، كسنة الله في الأسباب والمسببات، وسنة الله التدافع بين الحق والباطل، وسنته في الابتلاء

١ – الكشاف للزمخشري

٢ – الكشاف الزمخشري

٣ – الجامع لأحكام القرآن القرطبي

٤ – تفسير القرآن العظيم ابن كثير ج٢ ص٦٣٨

والفتنة، وسنة الله في الظلم والظالمين، وسنة الله في الترف والمترفين، وسنة الله في الطغيان والطغاة، وسنة الله في الاستدراج وفي المكر والماكرين، وغيرها[١].

١٤- إدراك معالم الحكم الرشيد في القرآن

وهذا ما سنفرد له المبحث القادم نظراً لأهميته ولكثرة حديث الساسة عنه.

المبحث الرابع : تدبر القرآن يوضح أركان الحكم الرشيد

المطلب الأول : مفهوم الحكم الرشيد

١- تعريف الحكم الرشيد :

الحكم الراشد أو الرشيد يقصد به" إنشاء مؤسسات سياسية وقضائية وإدارية تؤدي عملها بكفاءة وتخضع للمساءلة ويعدُّها المواطنون مؤسسات شرعية يمكنها عن طريق المشاركة في اتخاذ القرارات التي تؤثر في حياتهم، كما يعدونها مؤسسات تعمل على تمكينهم ، وينطوي الحكم الصالح أيضا على احترام حقوق الإنسان وسيادة القانون بصفة عامة" [٢]

مما سبق يتضح لنا أن الحكم الراشد له ثمانية أركان : وهي : الكفاءة في التوظيف والإدارة، خضوع مؤسسات الدولة للمساءلة، مشاركة الشعب في مؤسسات الدولة واتخاذ القرار، التوافق بين مؤسسات الدولة، التمكين من العيش الحسن، احترام حقوق الإنسان، وسيادة القانون وبناء الاستراتيجيات اللازمة لصون الدولة والشعب[٣].

٢-التعريف الإسلامي للحكم الرشيد

التدبر في قول الله ﴿ **ٱلَّذِينَ إِن مَّكَّنَّٰهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ أَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُا۟ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَمَرُوا۟ بِٱلْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا۟ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ۗ وَلِلَّهِ عَٰقِبَةُ ٱلْأُمُورِ ﴿٤١﴾** ﴾ الحج: ٤١ يوصلنا إلى أن القرآن حدد لعباده المؤمنين خمس قواعد أساسية لينبني عليها الحكم الرشيد، وهي : إقامة الصلاة، إيتاء الزكاة، الأمر بالمعروف، النهي عن المنكر، والاعتماد على الله في كل ما سبق لأن بيده عاقبة الأمور.

---

١ - للمزيد والتفاصيل، انظر كتاب : السنن الإلهية في الأمم والجماعات والأفراد زيدان

٢ - الحكم الراشد د. ناقد المدهون – المستشار في المجلس التشريعي الفلسطيني ضمن دورة عن الحكم الرشيد بتاريخ ٢٠٠٣/١٠/٢٢

٣ - المصدر السابق بتصرف

وقد تدبر الخليفة الراشد الخامس هذه الآية، واستنتج منها قواعد الحكم الرشيد : (قال الصباح بن سوادة الكندي: سمعت عمر بن عبد العزيز يخطب وهو يقول: { ٱلَّذِينَ إِنْ مَّكَّنَّٰهُمْ فِي ٱلْأَرْضِ } الآية، ثم قال: ألا إنها ليست على الوالي وحده، ولكنها على الوالي والمولى عليه، ألا أنبئكم بما لكم على الوالي من ذلكم، وبما للوالي عليكم منه؟ إن لكم على الوالي من ذلكم أن يؤاخذكم بحقوق الله عليكم، وأن يأخذ لبعضكم من بعض، وأن يهديكم للتي هي أقوم ما استطاع، وإن عليكم من ذلك الطاعة غير المبزوزة ولا المستكره بها، ولا المخالف سرها علانيتها) [1]

وبالرجوع لتعريف السياسة من منظور إسلامي، والتي هي (ما كان فعلاً يكون الناس معه أقرب إلى الصلاح، وأبعد عن الفساد، وإن لم يضعه الرسول أو ينزل به وحي) [2]

ومن الطبيعي أن ممارسة الحكم جزء من الممارسة السياسية، وعليه فالسياسي المسلم عليه أن يصل بالناس للحكم الإسلامي الرشيد إذا أعطوه ثقتهم .

لذلك نرى أن الحكم الرشيد في الإسلام هم الحكم القائم على تعبيد الناس لربهم في شتى مجالات الحياة كما يريد الوحي ليسعدوا في الدنيا والآخرة .

ونقصد **بتعبيد الناس لربهم في شتى مجالات الحياة** : أي يعمل القائمون على الحكم على نشر وتحقيق مفهوم العبادة بمفهومها الشامل بين الناس، والتوازن بين الحقوق و الواجبات.

ونقصد بقولنا **كما يريد الوحي** : أي أن يكون مرجع أعمال الحُكام والرعية القرآن الكريم والسنة المطهرة

ونقصد بقولنا **ليسعدوا في الدنيا والآخرة** : أي ليصلوا لهذا الهدف ﴿ **فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّى هُدًى فَمَنِ ٱتَّبَعَ هُدَاىَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَىٰ ﴿١٢٣﴾ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِى فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ أَعْمَىٰ ﴿١٢٤﴾** ﴾ طه: ١٢٣ - ١٢٤ . وهذا مقياس الرشد من عدمه، لأن الله ما أنزل علينا القرآن لنشقى ﴿ **مَآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْقُرْءَانَ لِتَشْقَىٰٓ ﴿٢﴾** ﴾ طه: ٢

المطلب الثاني : تدبر القرآن ومعالم الحكم الرشيد

بعد النظر والتأمل والبحث، اتضح لنا أن العلم الرشيد وإدراك أركان الحكم الرشيد هما الركيزتان الرئيسيتان التي يقوم عليها الحكم الرشيد، لأن العلم يجب أن يسبق العمل، ولأن الإدراك السليم مقدمة ضرورية للعمل الصحيح المقبول.

---

١ - تفسير القرآن العظيم ابن كثير – ج٣- ص٣٠٥

٢ - الطرق الحكمية لابن قيم الجوزية ص ١٧

أولاً : العلم الرشيد أساس أعمال الحكم الرشيد : عند النظر إلى الآيات التي توضح أن الله وهب الحكم لبعض الصالحين من عباده وعلى رأسهم الأنبياء ، نلاحظ أن الله يذكر – كذلك – هبته لهم العلم النافع والرشيد لحكمهم، وأشارت الآيات كذلك لرشد حكمهم، وهذا يوجب على السياسي المسلم أن يأخذ العلم الرشيد ليقوم بمهمته، وهذا الرشد لا يأتي إلا من القرآن الكريم والسنة النبوية الصحيحة، فقال الله عن داوود وسليمان عليهما السلام : ﴿ **وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ وَسُلَيْمَٰنَ عِلْمًا** ﴾النمل: ١٥ ، ﴿ **وَءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ ٱلْمُلْكَ وَٱلْحِكْمَةَ وَعَلَّمَهُۥ مِمَّا يَشَآءُ** ﴾ البقرة: ٢٥١ ، ثم تكلم عن آل إبراهيم ﴿ **فَقَدْ ءَاتَيْنَآ ءَالَ إِبْرَٰهِيمَ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَءَاتَيْنَٰهُم مُّلْكًا عَظِيمًا ٥٤** ﴾ النساء: ٥٤ ، وكذلك يوسف عليه السلام ﴿ **رَبِّ قَدْ ءَاتَيْتَنِى مِنَ ٱلْمُلْكِ وَعَلَّمْتَنِى مِن تَأْوِيلِ ٱلْأَحَادِيثِ** ﴾ يوسف: ١٠١ ، وكذلك ذو القرنين : ﴿ **وَيَسْـَٔلُونَكَ عَن ذِى ٱلْقَرْنَيْنِ قُلْ سَأَتْلُوا۟ عَلَيْكُم مِّنْهُ ذِكْرًا ٨٣** ﴾ الكهف: ٨٣

بل إن الله وضح أنه أرسل الرسل ومعهم الكتب أي المنهج الرشيد ليقوم الناس بالقسط، فلا عدل ولا سعادة ولا رشد بدون اتباع سبل الأنبياء ﴿ **لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِٱلْبَيِّنَٰتِ وَأَنزَلْنَا مَعَهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْمِيزَانَ لِيَقُومَ ٱلنَّاسُ بِٱلْقِسْطِ وَأَنزَلْنَا ٱلْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنَٰفِعُ لِلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥ وَرُسُلَهُۥ بِٱلْغَيْبِ إِنَّ ٱللَّهَ قَوِىٌّ عَزِيزٌ ٢٥** ﴾ الحديد: ٢٥

ثانياً : إدراك أركان الحكم الرشيد :

مما سبق يتضح لنا ضرورة تعرف السياسي المسلم على أركان وقواعد وأسس الحكم الرشيد كما وصفه القرآن الكريم، فالمتتبع لآيات القرآن الكريم يستطيع وضع يده بالتأمل والتدبر على أركان السياسة الرشيدة لكل ممارس للسياسة، حيث أن هذه الأركان لا غنى للبشرية عنها بجميع أطيافها ومعتقداتها إن أرادت السعادة والعيش الكريم، ومن هذه الأركان:

الركن الأول : العمل على القيام بالقسط بين الناس جميعاً: بغض النظر عن ميولاتهم السياسية العقائدية أو السياسية : ﴿ **لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِٱلْبَيِّنَٰتِ وَأَنزَلْنَا مَعَهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْمِيزَانَ لِيَقُومَ ٱلنَّاسُ بِٱلْقِسْطِ** ﴾ الحديد: ٢٥ ، فالمقصود من إرسال الرسل، وإنزال الكتب، أن يقوم الناس بالقسط، وفي حقوق

الله وحقوق خلقه)[1]، ولنلحظ هنا كلمة الناس أي جميع الناس، ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُونُواْ قَوَّٰمِينَ بِٱلْقِسْطِ شُهَدَآءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمْ أَوِ ٱلْوَٰلِدَيْنِ وَٱلْأَقْرَبِينَ ۚ إِن يَكُنْ غَنِيًّا أَوْ فَقِيرًا فَٱللَّهُ أَوْلَىٰ بِهِمَا ۖ فَلَا تَتَّبِعُواْ ٱلْهَوَىٰٓ أَن تَعْدِلُواْ ۚ وَإِن تَلْوُۥٓاْ أَوْ تُعْرِضُواْ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ﴿١٣٥﴾ ﴾ النساء: ١٣٥ ، ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُونُواْ قَوَّٰمِينَ لِلَّهِ شُهَدَآءَ بِٱلْقِسْطِ ۖ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَـَٔانُ قَوْمٍ عَلَىٰٓ أَلَّا تَعْدِلُواْ ۚ ٱعْدِلُواْ هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ ۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿٨﴾ ﴾ المائدة: ٨ ، ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤَدُّواْ ٱلْأَمَٰنَٰتِ إِلَىٰٓ أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُم بَيْنَ ٱلنَّاسِ أَن تَحْكُمُواْ بِٱلْعَدْلِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُم بِهِۦٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ سَمِيعًۢا بَصِيرًا ﴿٥٨﴾ ﴾ النساء: ٥٨ (قال العلماء : نزلت في ولاة الأمور، عليهم أن يؤدوا الأمانات إلى أهلها، وإذا حكموا بين الناس حكموا بالعدل)[2] وهنا نرى أن الآية تشير إلى أمر هام وهو أن إرجاع الحقوق إلى أصحابها مهمة المسئول المنوط له ذلك، وكأنها توضح لنا أن من يصلح للحكم بين الناس وسياسة أمرهم هو من يؤد هذه الحقوق. (فإن الأئمة متفقون، على أنه لا بد في المتولي، من أن يكون عدلا أهلا للشهادة)[3]

ولقد جعل رسولنا الكريم السلطان المقسط أحد الأصناف الثلاثة من أهل الجنة، فقال عليه الصلاة والسلام : (أهل الجنة ثلاثة: ذو سلطان مقسط، ورجل رحيم القلب بكل ذي قربى ومسلم، ورجل غني عفيف متصدق)[4]

ولقد علمنا القرآن أن المسلم يجب أن يسير مع الحق أياً كانت الجهة المضادة كانت : ﴿ وَإِن طَآئِفَتَانِ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱقْتَتَلُواْ فَأَصْلِحُواْ بَيْنَهُمَا ۖ فَإِنۢ بَغَتْ إِحْدَىٰهُمَا عَلَى ٱلْأُخْرَىٰ فَقَٰتِلُواْ ٱلَّتِى تَبْغِى حَتَّىٰ تَفِىٓءَ إِلَىٰٓ أَمْرِ ٱللَّهِ ۚ فَإِن فَآءَتْ فَأَصْلِحُواْ بَيْنَهُمَا بِٱلْعَدْلِ وَأَقْسِطُوٓاْ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ ﴿٩﴾ ﴾ الحجرات: ٩ فالبغي من أي طائفة كانت، من طائفة السياسي أو طائفة غيره يجب الوقوف ضدها حتى تفيئ إلى أمر الله.

الركن الثاني : إتباع الشورى كمنهج أصيل في العمل السياسي: فالمتدبر لآيات الله يرى أن الله ذكر الشورى في موضعين في القرآن، **الأول** ﴿ فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ ۖ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّواْ مِنْ حَوْلِكَ ۖ فَٱعْفُ عَنْهُمْ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِى ٱلْأَمْرِ ۖ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَوَكِّلِينَ ﴿١٥٩﴾ ﴾ آل عمران: ١٥٩ وهنا جاء أمر الله في سياق المعالجة الربانية لما حدث مع المؤمنين في غزوة أحد، والمتتبع لأمر الغزوة وحيثياتها سيجول بخاطره ابتداء أن المشورة التي مارسها رئيس المسلمين والسياسي الأول – عليه الصلاة

١ – السياسة الشرعية / ابن تيمية ص ٣٢
٢ – السياسة الشرعية / ابن تيمية ص ٦
٣ – السياسة الشرعية ابن تيمية ص ٢٧

والسلام – مع رعيته ومن حوله هي السبب الرئيس في الهزيمة، وهذا ما يريد أن يصححه الوحي ويثبت موضوع الشورى كمبدأ ومنهج حياة وسلوك يجب أن ينتهجه كل سياسي وخصوصاً إن كان مسلماً، فالشورى لا تأتي على الأمة إلا بخير بغض النظر عما قد ينتج من السير وراء مخرجاتها، وكأن القرآن يريد أن يعلمنا أن أي نتيجة للشورى مهما كانت عواقبها تبقى أخف ضررا من الاستبداد بالرأي وتهميش عقول المجتمع ودوره لأن الشورى تتناسق مع طبيعة الإنسان التي خلقه الله عليها وهي الحرية. كما أن اتباع نهج الشورى دلالة على التوكل على الله حيث أن المسئول حين يمارس هذا النهج ويرضى بنتائجه فإنه يتوكل على الله (فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ) فيقع في محبة الله (إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ)، ومن أحبه الله لا يشقى، لأن السير على نهج الشورى تعني بالضرورة عدم الاعتماد على القدرة العقلية للمسئول بقدر الاعتماد على رعاية الله للنتيجة والتي قد تأتي مخالفة لرأيه أحيانا لكنها تصبح ملزمة له وهذا من أصعب الأمور على النفوس أن تتبنى رأياً وتدافع عنه وتعمل على تنفيذه وهو على غير قناعاتها، فلا تجد أمامها إلا التوكل على خالقها، فحق لها إذاً أن تدخل في محبة الله لقهرها لميولاتها والعمل بميولات غيرها وبالذات إن كانوا أقل منها مكانة ومسؤولية.

أما الموضع الثاني فجاء في سورة الشورى﴿ **وَالَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِرَبِّهِمْ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَمْرُهُمْ شُورَىٰ بَيْنَهُمْ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٣٨﴾** ﴾الشورى: ٣٨ ، حيث تأتي الآية في سياق تحديد الخالق سبحانه لصفات المؤمنين كما بدأت من الآية ٣٦، وكانت أول صفاتهم التوكل على الله، فالتدبر في هذه الآية يشعر المؤمن بأهمية الشورى حيث هي سمة من سمات المؤمنين كسِمة إقام الصلاة وكسِمة الإنفاق في سبيل الله، أي أن الشورى يفترض أن تكون منهجا دائما في حياة المسلم العادي ، وهي في حق السياسي والمسئول أوكد. كما أن الآية رفعت مكان الشورى لمرتبة أركان الإسلام حيث وضعتها بين إقامة الصلاة والإنفاق في سبيل الله، وكأن الآية تعلمنا أن لا تمام لعبادة الصلاة والزكاة دون سلوك النهج الشوري، وإن كانت الصلاة والزكاة من أركان الإسلام، فإن الشورى من أركان السياسة الرشيدة للناس والدولة المجتمع.

يقول الشيخ الشعراوي في خواطره : (هذه آية من آيات كثيرة قرنتْ بين الصلاة والزكاة، لأن بهما يستقيم حال المجتمع المؤمن، الزكاة تنازلٌ عن بعض مالك للمحتاجين فأنت إذن تضحي فيها بالمال، كذلك في الصلاة زكاةٌ أبلغ من زكاة المال، لأنك في الصلاة تُضحِّي بالوقت الذي هو مجال العمل وسبب كسب المال.

الجديد في هذه الآية في مسألة الجمع بين الصلاة والزكاة ذِكْرُ مسألة الشورى بينهما، والمتحدِّث بهذا هو الحق سبحانه، فلا بدَّ لنا أنْ نقف هنا ونتلمَّس الحكمة: لماذا جعل الشورى بين هذين الأمرين اللذين اجتمعا دائماً في آيات الذكر الحكيم؟

نقول: معنى (أقاموا الصلاة) يعني: أدَّوْهَا على أكمل وجه، وهذا يكون في جماعة المسجد، فكأنه ينتهز فرصة الاجتماع هذه ويأمرهم بأنْ يكون أمرهم شورى بينهم، والشورى لا تكون في أمر وصَّانا الله به، ولا في أمر وصَّانا به رسوله صلى الله عليه وسلم، إنما تكون في الأمور الخلافية التي لم يأت فيها نصٌّ، فيكون الحكم فيها شورى بين أهل الاختصاص كما نرى في مسألة الفتوى.

لذلك ندعو إلى أن تكون الفتوى جماعية لا فردية، فلما تتناقش الجماعة لا بدَّ أنْ يصلوا إلى الصواب، ولا مانع أن تدافع عن رأي الجماعة حتى لو كان لك رَأي مخالف) [١]

ولقد تأمل علماؤنا هذه الآيات وربطوها بسلوك النبي – عليه الصلاة والسلام – فرأوا وجوب عزل الولاة الذين من لا يستشيرون أهل الدين والعلم، فقد نقل ذلك الإمام الشوكاني عن الإمام القرطبي عن ابن عطية: أنه لا خلاف في وجوب عزل من لا يستشير أهل العلم والدين[٢].

وقال الإمام الألوسي : (وفي الآية مدح للتشاور لا سيما على القول بأن فيها الإخبار بالمصدر، وقد أخرج البيهقي في «شعب الإيمان» عن ابن عمر رضي الله تعالى عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: " من أراد أمراً فشاور فيه وقضى هدي لأرشد الأمور " ، وأخرج عبد بن حميد والبخاري في «الأدب» وابن المنذر عن الحسن قال: ما تشاور قوم قط إلا هُدوا وأرشد أمرهم ثم تلا { وَأَمْرُهُمْ شُورَىٰ بَيْنَهُمْ })[٣]

الركن الثالث : يكفل حرية الرأي والتعبير : إن المتدبر في آيات الشورى السابقة يدرك –كما أسلفنا – أنها يجب أن تكون منهج وثقافة المجتمع بأسره وهذه وظيفة الحاكم والمسئول، وهذا يجعلنا ندرك أنه لا شورى دون حرية إبداء للرأي، وهذه الحرية تعني احتمال موافقة رأي المسئول أو مخالفتها. والموافقة في الرأي درجات كما أن المخالفة فيه درجات كذلك. يقول الإمام البيضاوي في شرح (وَأَمْرُهُمْ شُورَى بَيْنَهُمْ) : أن

١ – خواطر محمد متولي الشعراوي
٢ – فتح القدير / الشوكاني
٣ – روح المعاني / الألوسي

هذه الجماعة ليس فيها من ينفرد برأي، بل تتشاور، وهذا التشاور دليل فرط التدبر واليقظة في الأمور[١] .ولقد ذكرنا قول الشيخ الشعراوي (ولا مانع أن تدافع عن رأي الجماعة حتى لو كان لك رَأي مخالف) [٢]

وبالتأمل في الآية ٥٨و٥٩ من سورة النساء نجد أنهما – أيضا– متضمنتان صيانة حرية الرأي وتقرير مبدأ الاختلاف الذي قد يصل لدرجة النزاع ، فإن هذه الآية ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنكُمۡۖ فَإِن تَنَٰزَعۡتُمۡ فِي شَيۡءٖ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمۡ تُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِۚ ذَٰلِكَ خَيۡرٞ وَأَحۡسَنُ تَأۡوِيلًا ٥٩ ﴾ النساء: ٥٩ تكمل الهدف الذي تعنيه الآية الأولى[٣]، فأولاهما موجهة لأولى الأمر حيث أوجبت عليهم الحكم بالعدل، والثانية خاصة بالرعية ليطيعوا ولاة أمورهم فيما أمر به الله، فإذا أمروا بمعصية فلا طاعة لهم، كما تلفت نظر الجماعة المسلمة إلى أنه في حالة الاختلاف ينبغي الرجوع إلى كتاب الله وسنة رسوله صلوات الله وسلامه عليه. "فإذا كانت الآية قد أوجبت أداء الأمانات إلى أهلها والحكم بالعدل فهذان جماع السياسة العادلة والولاية الصحيحة" [٤]

والمتفحص في الآيات القرآنية في العهد المدني يجد العديد منها يرُدُّ على آراء وأفكار وعقائد وسلوكيات بعض الفئات المكونة للدولة المسلمة، وهذا دليل واضح على طبيعة تعدد الآراء ووجوب التعامل معها دون تشنج إنما بالحكمة والموعظة، وهذا ما يجب أن يدركه الدعاة وخصوصاً الساسة منهم لأن هذا هو المنهج القرآني الأصيل ﴿ ٱدۡعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلۡحِكۡمَةِ وَٱلۡمَوۡعِظَةِ ٱلۡحَسَنَةِۖ وَجَٰدِلۡهُم بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُۚ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعۡلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦۖ وَهُوَ أَعۡلَمُ بِٱلۡمُهۡتَدِينَ ١٢٥ ﴾ النحل: ١٢٥

بل إن الله صنف المؤمنين لثلاثة أصناف حسب إيمانهم، وهذا بالضرورة سينعكس على آرائهم وتوجهاتهم وميولاتهم ﴿ ثُمَّ أَوۡرَثۡنَا ٱلۡكِتَٰبَ ٱلَّذِينَ ٱصۡطَفَيۡنَا مِنۡ عِبَادِنَاۖ فَمِنۡهُمۡ ظَالِمٞ لِّنَفۡسِهِۦ وَمِنۡهُم مُّقۡتَصِدٞ وَمِنۡهُمۡ سَابِقُۢ بِٱلۡخَيۡرَٰتِ بِإِذۡنِ ٱللَّهِۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلۡفَضۡلُ ٱلۡكَبِيرُ ٣٢ ﴾ فاطر: ٣٢

---

١ – أنوار التنزيل / البيضاوي

٢ – خواطر محمد متولي الشعراوي

٣ أي الآية ٥٨ من سورة النساء

٤ – السياسة الشرعية / ابن تيمية – ص٣

ومن الجدير الإشارة هنا لأمر يغفل عنه الكثير من الناس أن الحوار الحسن مع الآخرين المختلفين عنا فكرياً وعقائدياً هو أحد الأساليب الواجب اتباعها لنشر الدعوة، مما يعني أن الداعية المسلم يجب أن تكون المحاجة الحسنة لديه سلوكاً وأصلاً وليس استثناء.

الركن الرابع : **أن المسؤول يجب أن يكون راجح الرأي قوي الحجة:** وهذا ما يُفهم ضمناً من آيتي الشورى السابقتين، فالذي يعتمد مبدأ الشورى من الطبيعي أن يكون قوي الحجة، والعزم للأخذ بأحد الآراء بعد النظر فيها، وهذا بالضرورة يُوجِب قُدرةً كبيرة لديه في الترجيح والاستنباط والاستدلال، لأن العزم يأتي بعد الحزم والحزم يأتي بعد التمحيص والتقليب.

وما تراجع المسلمون بين الأمم إلا حينما ولوا أمورهم لمن لا يستحقها، وإن أول معلم من معالم الخلافة الصالحة هو عدم إمامة الحكام للناس في الصلاة، لأن الأفضل أن يؤم الناس أقرؤهم لكتاب الله — أي أعلمهم به — أي أرجحهم عقلاً ، ولذلك قال الصحابة لسيدنا أبي بكر (أيرضاك رسول الله لديننا ولا نرضاك لدنيانا؟!)[١]

الركن الخامس : **حسن اختيار المستشارين وأهل الرأي** : الناظر والمتأمل والمتدبر في هذه الآيات الأربعة من سورة الشورى (٣٦-٣٩) [٢]، يجد فيها صفات مَن يُمكن مشاورته، وهي : الإيمان، التوكل على الله، اجتناب كبائر الإثم والفواحش، الصفح عن الغضب، الاستجابة لأمر الله، إقامة الصلاة، ممارسة للشورى في أمورهم (قال ابن العربي : الشورى: ألفة للجماعة، ومسبار للعقول، وسبب إلى الصواب) [٣]

وذكر الشعراوي في خواطره (..ثم تأمل { وَأَمْرُهُمْ شُورَىٰ بَيْنَهُمْ.. } ولم يقل: تشاور. فعبَّر بالمصدر ليؤكد أن أمرهم هو نفسه الشورى، كما تقول: رجل عادل ورجل عَدْل، فجعلته العدل ذاته، وقد ورد أن الإمام علياً رضي الله عنه قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم: يا رسول الله ترد علينا أمور لا نَرَى لله فيها حكماً، ولا نرى لسنة نبيه فيها حكماً، فماذا نصنع؟ قال صلى الله عليه وسلم: اجمعوا العباد، واجعلوها شورى ولا تقتدوا برأي واحد). [٤]

---

١ - محاضرة للشيخ محمد حسان - http://islamport.com/w/akh/Web/1616/69.htm
٢ - راجع سورة الشورى / من الآية ٣٦ - ٣٩
٣ - التفسير الوسيط / طنطاوي
٤ - خواطر محمد متولي الشعراوي

يقول الإمام الألوسي معقباً على هذه الصفات : (أخرج الخطيب عن علي كرم الله تعالى وجهه قال: قلت يا رسول الله الأمر ينزل بنا بعدك لم ينزل فيه قرآن ولم يسمع منك فيه شيء قال: اجمعوا له العابد من أمتي واجعلوه بينكم شورى ولا تقضوه برأي واحد. وينبغي أن يكون المستشار عاقلاً كما ينبغي أن يكون عابداً، فقد أخرج الخطيب أيضاً عن أبي هريرة مرفوعاً استرشدوا العاقل ترشدوا ولا تعصوه فتندموا " والشورى على الوجه الذي ذكرناه من جملة أسباب صلاح الأرض ففي الحديث " إذا كان أمراؤكم خياركم وأغنياؤكم أسخياءكم وأمركم شورى بينكم فظهر الأرض خير لكم من بطنها وإذا كان أمراؤكم شراركم وأغنياؤكم بخلاءكم وأمركم إلى نسائكم فبطن الأرض خير لكم من ظهرها " وإذا لم تكن على ذلك الوجه كان إفسادها للدين والدنيا أكثر من إصلاحها) [١]

وتأمل فيها أبو بكر الجزائري فقال (هذه عشر صفات متى اتصف بها العبد لا يضره شيء لو عاش الدهر كله فقيراً نقيًّاً محروماً من لذيذ الطعام والشراب ومن جميل اللباس، والسكن والمركب إذ ما عند الله تعالى. له خير وأبقى مع العلم أن أهل تلك الصفات سوف لا يحرمون من طيبات الحياة الدنيا هم أولى بها من غيرهم إلا أنها ليست شيئا يذكر إلى جانب ما عند الله يوم يلقونه ويعيشون في جواره) [٢]

بقي أن نقول هذا ما توصلنا إليه بفضل الله، وإنا على ثقة أن هناك العديد من هذه الأركان التي تزخر بها آيات القرآن، ولكننا بشر وطاقتنا محدودة، ومعرضون للخطأ والصواب، والحمد لله رب العالمين.

---

١ - روح المعاني / للألوسي

٢ - أيسر التفاسير /أبو بكر الجزائري

الخاتمة :

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، الحمد لله على نعمة تدبر القرآن، والصلاة والسلام على رسول الله الهادي للرشاد، وعلى آله وصحبه، وبعد : وفي الختام هذا ذكر لأهم نتائج وتوصيات البحث :

أولاً : أهم النتائج

١- أن العاملين للإسلام بحاجة لوقفات أكثر مع القرآن الكريم للتدبر والتفكر.

٢- أن القرآن الكريم جاء ليعيد صناعة وصياغة الشخصية المسلمة من جديد في شتى مجالات الحياة

٣- أن التدبر السياسي للقرآن الكريم يوضح معالم الطريق للعمل السياسي، وخصوصاً في هذا الوقت بالذات

٤- أنه لا يمكن أن يطبق المسلمون دينهم بمفهومه الشامل دون أن يكون لهم كيان مستقل يحكمونه ويطبقون فيه أحكام الله على المسلمين

٥- أن القرآن وضع القواعد الصحيحة لممارسة العمل السياسي .

٦- أن القرآن الكريم حدد معالم الحكم الرشيد ضمن رؤيته الشاملة والمتكاملة للحياة .

ثانياً : أهم التوصيات

١- إعداد المزيد من الرسائل والبحوث التي تهدف لتوجيه الأمة نحو زيادة التدبر في آيات الله لاستخراج الفوائد الجمة منه، ولنوضح المعالم والإرشادات القرآنية لكل مجال من مجالات الحياة.

٢- أن يهتم أصحاب المنهج الإسلامي على تثقيف القادة والأفراد وصولاً لعوام الناس بصفات ومميزات ومقومات وقواعد العمل السياسي من منطلق الوحي أي القرآن الكريم والسنة النبوية.

٣- أن يتم التركيز في المرحلة القادمة على تطبيق المعايير القرآنية في إدارة شئون الحكم والبلاد – حيثما أمكن – لتقديم نموذج نصل به إلى العالمية، ليكون باباً من أبواب دعوة المسلمين للثقة بنهج ربهم، ودعوة غيرهم للدخول في دين الله.

المصادر والمراجع :

- أنوار التنزيل وأسرار التأويل : البيضاوي، ناصر الدين أبو سعيد أو أبو الخير عبد الله بن أبي القاسم عمر بن محمد بن أبي الحسن علي (ت ٦٨٥ هـ) / www.altafsir.com
- أيسر التفاسير : أبو بكر الجزائري ، www.altafsir.com
- الابتلاء والمحن في الدعوات : أبو فارس، د. محمد عبد القادر، دار التوزيع والنشر الإسلامية، رقم الإيداع ١٩٩٠/٢٢٦٧
- الإسلام وفقه عصر الرشد : غانم، د. عبد الحميد، جنا للتوزيع والترجمة، ١٤٣١هـ، ط١
- الإسلام والدولة : غانم ، د. عبد الحميد، جنا للتوزيع والترجمة، ١٤٣٢هـ، ط١
- برنامج الشريعة والحياة : الدكتور ناصر العمر/ قناة الجزيرة ، بتاريخ ٢٠١٣/٠٢/١٧
- تحرير الإنسان وتجريد الطغيان، د. حاكم المطيري، نسخة إلكترونية PDF
- تدبر القرآن الكريم / د. فهد بن مبارك بن عبدالله الوهبي، مجلة الدراسات القرآنية : العدد (٨) ١٤٣٢ هـ
- تفسير القرآن العظيم : ابن كثير، عماد الدين أبي الفداء إسماعيل، ت ٧٧٤هـ، مكتبة دار الفيحاء- دمشق ومكتبة دار السلام- الرياض، ط١، ١٤١٤هـ
- التفسير الكبير (مفاتيح الغيب) : الرازي، الإمام فخر الدين أبو عبد الله محمد بن عمر بن حسين القرشي الطبرستاني الأصل (ت ٦٠٨) / www.altafsir.com
- تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان: السعدي، عبد الحمن بن ناصر (ت ١٣٧٦هـ)، مؤسسة الرسالة، ط١، ١٤٢٣هـ
- جامع البيان في تفسير الأحكام : الطبري (ت ٣١٠ هـ) / www.altafsir.com
- الجامع لأحكام القرآن: القرطبي، أبو عبد الله شمس الدين محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الخزرجي (ت : ٦٧١هـ)، موقع www.altafsir.com
- جذور العلوم السياسية : عدوان، د. عاطف إبراهيم، كلية التجارة – الجامعة الإسلامية – غزة، ١٤٢٣هـ، ط٧
- الحكم الراشد وأسس النظام الديمقراطي : د. نافذ المدهون، محاضرة في جمعية الحمد بغزة – فلسطين بتاريخ ٢٠٠٩/١٠/٢٢
- خواطر محمد متولي الشعراوي : محمد متولي الشعراوي (ت ١٤١٨هـ) /www.altafsir.com
- روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني : الألوسي، محمود شكري بن عبد الله بن شهاب الدين محمود (ت ١٢٧٠ هـ) / www.altafsir.com
- السنن الإلاهية في الأمم والجماعات والأفراد في الشريعة الإسلامية : زيدان، د. عبد الكريم، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٤١٧هـ، ط٣

- السياسة الشرعية في إصلاح الراعي والرعية، شيخ الإسلام ابن تيمية، مكتبة دار البيان – دمشق،١٤٠٥ هـ.
- السياسة الشرعية في ضوء نصوص الشريعة ومقاصدها، د. يوسف القرضاوي، مكتبة وهبة – القاهرة ١٤٢٦ هـ ، ط٢
- صحيح الإمام البخاري / www.dorar.net الموسوعة الحديثية
- صحيح الإمام مسلم / www.dorar.net الموسوعة الحديثية
- صحيح الجامع : ناصر الدين الألباني / www.dorar.net الموسوعة الحديثية
- الطرق الحكمية في السياسة الشرعية، ابن القيم الجوزية – ت ٧٥١هـ، ، دار الحديث – القاهرة، ١٤٢٣ هـ، ط١
- فتح الباري : ابن حجر العسقلاني / www.dorar.net الموسوعة الحديثية
- فتح القدير : الشوكاني (ت ١٢٥٠هـ) / www.altafsir.com
- فقه المسئولية : محمود، د. علي عبد الحليم، دار التوزيع والنشر الإسلامية، ١٤١٥ هـ، ط١
- في ظلال القرآن، سيد قطب، دار الشروق، ط ١٥، ١٤٠٨ هـ
- الكشاف : الزمخشري، الإمام جار الله محمود بن عمر (ت ٥٣٨ هـ) / www.altafsir.com
- محمد الرسول السياسي، أ. د. محمد عمارة، هدية مع مجلة الأزهر – عدد ربيع الأول ١٤٣٣هـ
- المصباح المنير : الفيومي المقرئ، أحمد بن محمد بن علي، دار الحديث – القاهرة، ١٤٢١ هـ، ط١
- الموقع الإلكتروني للدكتور يوسف القرضاوي : www.qaradawi.net
- النظم الإسلامية : د. أحمد ذياب شويدح ود. زياد إبراهيم مقداد ود. ماهر أحمد السوسي، كلية الشريعة – الجامعة الإسلامية – غزة، ١٤١٩هـ، ط٤
- الوسيط في تفسير القرآن الكريم، محمد سيد طنطاوي (ت ١٤٣١ هـ) / www.altafsir.com

انتهيت بفضل الله ومَنّه من كتابته ، يوم الأحد ١٨ جمادى الثاني ١٤٣٤هـ، الموافق ٢٠١٣/٠٤/٢٨

غزة – فلسطين